ناس محطوط عليها

نور مانجا

نَاس مَحْطُوط عَلِيهَا

قصص قصيرة واقعية

نور مانجا

إهداء

إلى من جعلوا حياتي أفضل..

إلى ابنتي القادمة (تويا)..

مقدمة

تربَّيتُ في حجر جدة من زمنٍ جميلٍ، كانت لها عبارة خالدة دائمًا ما ترددها على مسامعي (اللي يشوف بلاوي الناس تهون عليه بلوته).

وورثت منها حب الاستماع إلى أوجاعِ الناس ومشاركة آلامهم لأنها أسرع طريقة لتخفيف ألمي الشخصي .

عندما تنزل إلى الشارع اترك أبواب روحك وعقلك مفتوحة واستمع لقصص الناس، ولا تترك شيئًا يمر عليك دون أن تأخذ منه عِبرة.

بهذه الطريقة تتحول حياتك البسيطة إلى أكثر من حياة ستمر بتجارب الآخرين وتعيش أعمارهم.. فتكتب لحياتك خلودًا من نوعٍ خاص بمذاق حياة الآخرين.

(1)

جميلة

هي فتاة لها من الجمال حظٌّ كبيرٌ جعلها تستحق أن يُطلَق عليها هذا الاسم وبجدارة(جميلة).

عندما ترى جميلة للوهلة الأولى تشعر أنها ملكت كل أدوات الجمال بلا منازع قوام ملفوف، وشعر أسود منسدل وبشرة رائعة خالية من العيوب بالإضافة إلى أنها حاصلة على تعليم جامعيّ من أسرة طيبة، إذًا أين هي المشكلة؟

المشكلة أن جميلة أتمَّت عامها الثاني بعد الثلاثين ولم تتزوج بَعد.

انتظر قبل أن تحدثك نفسك قائلًا إنه لا توجد مشكلة، وأن هذا حال كثير من فتياتنا في هذه الفترة، سأقول لك إن جميلة عندما تراها، أنت بنفسك ستقول إن هذه لا يجوز لها أن تحصل على لقب عانس، ولكنك إذا تحدثت معها لدقيقة واحدة ستفهم مالذي جعلها تبقى بلا زواج حتى هذه السن.

حاولت أنا وكثيرٌ ممن يعرفون جميلة أن نقوم بتعريفها على بعض الشباب الصالحين للزواج، ولكنها ما إن نقول لها إن فلانًا عريسًا، أول سؤال ينطق به لسانها "هو عنده عربية؟؟".

وإذا كانت الإجابة بلا تصرف نظر عنه على الفور بغض النظر عن باقي مواصفاته مهما كان خلوقًا أو مهذّبًا أو أيًا من الصفات الحميدة الأخرى.

ذات مرة حكيت عنها لأحد معارفي علّها تعجبه فيقوم بخطبتها هو شاب ممتاز يعمل مهندسًا في إحدى الشركات المحترمة، متدين ذو شخصية رائعة.

يوم اللقاء، كان الموعد في النادي كيفما شاءت هي وفي التوقيت الذي حددته بنفسها واتفق أنه ركن سيارته بالصدفة خارج النادي، وكنا ننتظره بالداخل عندما رأته قادمًا من بعيد كان حديثها كالتالي:

- إممممم، لابس كاجوال بس مش ماركات، ياه ده اسمر أوي إيه القرف ده!

- معلش يا جوجو ده عشان شغله في الشمس.

- أه طيب لما نشوفه.

اقترب الشاب منّا وقبل أن يبادرنا بالتحية لم تمهله الفرصة لتقفز في وجهه بسؤالها:

- عربيتك فين نوعها إيه؟

فردَّ عليها ببرود:

- معنديش عربية.

فقامت قائلة :عن إذنكم، أنا كنت ناسية ميعاد مهم.

بعد أن قامت ناداها قائلًا: "على فكرة انتي تافهة أوي، وممكن تشتري جرنال أهرام السيارات وتختاري منه عربية تتجوزيها".

حاولت أن أعتذر له عن تصرُّفها فأجابني: ولا يهمك سيبك منها تعالي اوصّلك.

أجبته متعجبة: توصّلني؟!

- أيوة تعالي.

وعندما خرجنا، فوجئت به يفتح سيارة فاخرة فسألته متعجبة: هي دي عربيتك؟ طب ليه مقولتلهاش ان عندك عربية؟

فأجابني قالي: عشان مش ده السؤال اللي كنت متوقعه منها.

- خسارة دي بنت حلوة.

- تفور بحلاوتها عشان عمرها ما هتحبني دي هتحب العربية.

فقلت في نفسي: "عمرو طلع عنده جيب شيروكي ورانجلر جيب كمان، معلش بقى ياجميلة هارد لك.."

* * *

(2)

سواق توكتوك في نابولي

لا تدع الدهشة تأخذك قبل أن تعرف قصته.

في صباح صيفي حار، نزلت من منزلي بالإسكندرية لشراء بعض المستلزمات المنزلية، وبحثت بنظري عن إحدى عربات (التوكتوك) لهذا الأمر، تلك المركبات الصغيرة المزعجة، أحيانًا تكون مفيدة، حتى وجدت إحداهن.

-فتح الله من فضلك .

-اتفضلي يا مدام .

حتى هنا الأمر أقل من العادي ولا يستحق الاهتمام، ولكن ما دفع حواسي للانتباه بقوة، مكالمة هاتفية أجراها سائق التوكتوك دارت كالتالي:

- أيوة يامحمود اديني امي بسرعة الدولي غالي.

- أيوة يامّا وحشتيني أوي، أنا بعتلك فلوس طمنيني عليكي .

- أنا كويس بس ادعيلي هنا برد أوي .

- يووووه ياما ده التلج نازل وسادد السكك والنبي تدعيلي.

ألوه أليووووه الخط هيقطع معلش هكلمك تاني ما انتي عارفة الدولي غالي.

لا أخفيكم سرًا كاد الفضول أن يقتلني، حتى إني لم أستطع منع نفسي من سؤاله عن الأمر.

- برد إيه يا اسطى؟ ده الجو نار.

ضحك وقال:

- متشغليش بالك انا قصدي على إيطاليا.

- هي الحاجّة في إيطاليا؟

- لأ انا اللي في إيطاليا.

- لا معلش والنبي فهمني من غير تربقة.

- والله ما بتريق، هحكيلك، أصل الحكاية إني من خمس سنين شباب البلد كلهم جاتلهم شوطة السفر إيطاليا وانا منهم وكان النفر بيدفع 30 ألف جنيه، وعشان احنا على أد حالنا، أمي باعت دهبها ودهب اخواتي البنات والجاموستين اللي حيلتنا واستلفت وجمّعتهملي بالضالين.

- ها وبعدين ؟

- وبعدين زي ما حضرتك سمعتي، خدهم مننا سمسار هجرة من بتوع المراكب الخربانة ورمانا في وسط البحر. كنا 26 واحد مطلعش مننا غير 4 بس منهم انا وواحد صاحبي من بلدنا.

- وبعدين؟

- وبعدين قولنا لو رجعنا البلد مين هيسدد الدّين والبلد كلها هتعملنا تربتها ولو قولنا موتنا نسيب أهالينا تتهدل ليه ملهمش ذنب.

- وعملتوا إيه؟

- أبدًا، قعدنا هنا انا وصاحبي ده بقالنا هنا خمس سنين بنشتغل اتهدلنا أوي وجعنا ونمنا في الجوامع، وكل شهر كل واحد فينا يوفر ألف جنيه يبعتهم لأهله، ده اللي بنقدر عليه.

- وهتفضلوا كده على طول يعني؟

- لحد مانسدد الفلوس اللي اتدفعتلنا والديون كلها، تصدقي بالله أنا بيبقى قدامي القطر وابقى هموت واركبه اروح اشوف امي ومرضاش عشان منتكشفش، بيتي وحشني واخواتي ونومتي على رجل امي العصرية، مكتوب عليّا افضل متغرب في بلدي وانا بيني وبين امي شريط قطر لا قادر اركبه ولا قادر اعمل ندل واطنش.

هذا السائق يدعى "حمادة الطلياني، اشتهر بهذا الاسم بين زملائه من السائقين بسبب تلك القصة الغريبة التي تأكدت فيما بعد أنها حقيقية، وللأسف لن أتمكن من نشر صورته أو أيّ مما يدل على شخصه؛ خوفًا من أن يعرفه شخص من أهله أو من بلده..

ترى كم من حمادة غارق في غربة داخل هذا الوطن؟ كثيرًا ما سمعت تعبير (الفقر غربة في الوطن) والآن فهمته جيدًا.

* * *

(3)

بيكاديلي الإسكندراني

إذا كنت من روّاد شواطئ العجمي، فأنت حتمًا تعرفه، هو رجل طاعن في السن، نحيل القوام، وبالرغم من سنه الذي لا أظنه أقل من ثمانين إلا أنه يتحرك على الرمال بخفة عصفور، حاملًا بضاعته اللتي تتكون من بعض الكتب رديئة الطباعة وكاميرا لمن يرغب في تخليد ذكرى على هذا الشاطئ، يطوف بهم بقدمين حافيتين على رمال عشقها منذ الوهلة الأولى.

"بيكاديللي" كما هو واضحًا من الاسم يحمل الجنسية الإيطالية، جاء إلى مصر منذ أكثر من أربعة عقود مع شاب في مثل عمره بغرض السياحة والترفيه، ولكن رحلتهما طالت، فقد وقعا في غرام الإسكندرية وقررا البقاء فيها للأبد.

صديقه كان مصوّرًا محترفًا، فقرر أن يبدأ عملًا يدر عليه دخلًا، وصار من أشهر مصوّري الفوتجراف في مصر، وراجت تجارته وأصبح اسمًا معروفًا.

أما بيكاديللي، فلم يقوَ على فراق البحر فبقي طوال الأربعة عقود الماضية وسيبقى ما بقي عمره على الشاطئ لا يبارحه، يمارس حرفة بيسطة لا تأخذه بعيدًا عن البحر، وفي نفس الوقت تشبع شغفه أكثر وأكثر: فهو يلتقط بعض الصور البسيطة لمصيفين جاءوا إلى هذا الشاطئ. وعندما أصبح التصوير عديم النفع بعد انتشار الهواتف ذات الكاميرات، أصبح يبيع بعض الكتب رديئة الطباعة يقرأها ويبيعها. وقد فوجئت أنه قرأ معظم إصدارات جيلي من الشباب وكوّن فكرة عنهم، حتى إنه حلل شخوصهم كأنما يعرفها.

وعندما قُلت له إن شبابنا يتقاتلون للفوز بتصريح سفر إلى بلدك وعندما لا يحصلون عليه يموتون غرقًا في قوارب الهجرة غير الشرعية، دمعت عيناه قائلًا: "وماذنب بلدكم أن كنتم لا تقدرونها حق قدرها".

هو يقف على شاطئ المتوسط، ويعلم أن بلده على الجانب الآخر، وأن آلاف الشباب يملكون في سبيل الوصول إليها، ولكنه لا يريد الوصول إلى أي مكانٍ أبعد من شواطئ الإسكندرية؛ فهي على حسب روايته (أجمل مكان في الدنيا).

حقًا أنا أغبطه على رأيه، وأتمنى أن أرى ما يراه.

* * *

(4)

سائق مصري

في موقف سيارات الأجرة، كنت أبحث عن سيارة تقلني إلى بيتي بالعجمي، وجدت أحد السائقين ينادي (عجمي بيطاش بس). اضطررت للركوب معه؛ نظرًا للزحام، على أن استقل سيارة أخرى بعد أن يصل إلى مقصده. كنت أبحث عن عربة تقلني إلى العجمي، وعندما امتلأت السيارة بالركّاب وأصبحت جاهزة للسير، صاح فينا بطريقة مسرحية:

- كله نازل بيطاش يا خوانا. أنا مبقفش محطات مش عاوزين عطلة.

فأجابت إحدى الراكبات:

- يعني إيه يا اسطى مبتقفش في محطات، هي طيارة ولا طيارة، أنا نازلة الماكس.

فأجابها السائق بصوتٍ مبحوحٍ يشبه كثيرًا الأصوات الموجودة بأفلام الكارتون:

- خلاص مجنش على محطتك .

لا أدري مالذي ذكَّرني بالفنان الراحل عبد الفتاح القصري عندما كان يصيح (خلاص تنزل المرة دي).

على كل حال ظننت أنه سيسرع في سيره وفق ما فهمت من أسلوبه في الحديث، ولكن ما إن تحركت السيارة أمتارًا قليلة حتى توقف فسأله أحدهم:

- خير يا اسطى؟

- لامؤاخذة هجيب سندوشتات، والا هي اللقمة حُرمت.

أحضر بعض "الساندوتشات" من عربة على الطريق وما إن تحركنا حتى أمسك بهاتفه ثم تحدث كالتالي:

- أللووووه أواد احمو خد امك للدكتور.

وعلى ما يبدو أن هذا الحمو لم يسمعه جيدًا فقد أخذ يسب شبكات المحمول، وأغلق الهاتف وعاد يكرر اتصاله:

- أللووووه ياض ياحمو سامعني يابن الكلب بقولك خد امك للدكتور.

ومازال حمو لا يسمع ما يقوله فكرَّر الطلب مرة أخرى:

- أللووووه واد احمو امك طالق.

وألقى بالهاتف أمامه. وبعد أقل من دقيقة دقَّ الهاتف وكان الطالب حمو:

- بتطلق امي يابا؟

- يعني اشمعنى دي ال سمعتها يابن المكنسة.

انتهى حوار حمو وأمه التي تسببت شبكات المحمول في طلاقها، فتوقف السائق مرة رابعة ليحضر شايًا، وبدأ الركَّاب في التململ والتعبير عن ضيقهم ببعض الهمهمات فيما بينهم.

عاد للحركة أمتارًا قليلة وتوقف مرة أخرى:

-إيه ياسطى؟

- لامؤاخذة هعمل زي الناس محصووووور ياخوانّا.

وقد كان.. توقف وقضى حاجاته وعاد للحركة حتى صاحت إحدى الراكبات:

- نزلني ياسطى.

- ما انا كنت واااقف كنت متنيل واااقف انتو غاوبيين عطلة.

المهم أن أحد الزبائن ضج وانفجر في وجه ذلك السائق:

- بقولك إيه ياسطي إرحم أمي بقى واتحرك .

فأجابه ببرودٍ متناهٍ:

- الله يرحم والدتك، وانا مالي بيها يا أستاااااااذ.. مع كحتين وموسيقي تصويرية من صوته.

وعدنا للحركة مرة أخرى على نفس الوتيرة: كل بضعة أمتار يقف لغرض معين رافضًا أي توسلات منا أن يتحرك سريعًا. حتى قام أحد الركاب بإخراج مطواة ووجهها نحو السائق قائلًا:

- عليا الحرام لو متحركت ومشيت زي الناس لأغز أهلك دا انت سواااق رمة.

وما إن سمعه السائق حتى صمت تمامًا، وتوقف عن السباب، وتحرك بأقصى سرعة ممكنة.

وعندها قال الراكب جملة علقت بذهني: "مينفعش مع السواق المصري غير كده".

* * *

(5)

هيَّ!! ولّا أمها

سيارة جدي القديمة جعلتني في فترة ما، أحد رواد محال قطع غيار السيارات، وهناك تعرفت على قصة أحسبها من الغرابة بحيث تستحق أن تُروَى عن شاب، هو رشدي شاب ثلاثيني العمر من حي شعبي يمتلك محل قطع غيار سيارات، أي بلُغة أهل المناطق الشعبية (مرتاح). رشدي حاله في البحث عن شريكة حياته حال معظم شباب المناطق الشعبية: عندما يريد الزواج يبحث عن فتاة صغيرة بالعمر ساذجة حتى تتشكل شخصيتها كيفما يشاء لا تدرك من خبرات الدنيا شيئًا.

وعندما وجدها لاقاني متهللًا:

- باركيلي يا أبلة، لقِيتها، حتة بت مافيهاش غلطة.

- ألف مبروك يا رشدي، لقيتها فين دي دا انت كنت حاطط مواصفات صعبة أوي.

- كانت مستخبية وده اللي عجبني فيها.

- لأ احكيلي.

- شوفي ياستي هي 16 سنة لسة طالبة في تانية ثانوي قطة مغمضة فعلًا لدرجة ان حتى موبايل ممعهاش.

- طيب عظيم دي على كده ملاك.

- بتقولي فيها ملاك فعلًا، ده غير انها قمر، وفوق ده كله يتيمة ومنكسرة، أبوها كان راجل طيب مات في حادثة وسابها هي وامها بس عايشين كويس وقافلين بايهم عليهم.

- ألف مبروك يا ابو الرشد فرحتلك والله.

واشتريت حاجياتي وقدمت له التهاني مع وعد بحضور زفافه على ملاكه البريء.

ومر شهران أو أكثر حتى صاحت سيارة جدي مطالبة بقطع غيار مرة أخرى، فتوجهت إلى رشدي، وهناك وجدته حزينًا مكفهرّ الوجه وقد خلع دبلة الخطبة وراحت أصابعه تعبث بها أمامه ودار هذا الحديث:

- ازيك يا ابو الرشد ؟

- أهلًا يا أبلة .

- خير يا ابني مالك ؟

- ماليش، مالي على الله.

- إيه هي الموزّة مزعلاك ؟

- مش عارف!!!!!

- يعني ايه ؟

- مش عارف ازعل منها ولا ازعل عليها ولا ازعل من امها ..!

- وامها مالها ومال زعلك منها تكونش طلبت طلبات كتير زي أهل العرايس ما بيعملوا؟

- والله يا أبلة ما عارف اقولك ايه، أصلها حاجة متتحكيش.

- ياسيدي قول احنا اخوات وجايز اعرف اساعدك..

- البنت دي كويسة جدًا وانا لو سبتها هخسر كتير بس لازم اسيبها .

- مش فاهمة !

- تعرفي امها عندها كام سنة ؟

- كام؟

- امها عندها 32 سنة يعني لسة في عزها.

- ومال سن امها بإنك تسيب البنت ؟

- طيب اسمعيني للآخر من غير ما تقولي عليا قذر.

- حاضر .

- أنا في الأول كنت بروح ازورهم عادي واحد يزور خطيبته.

- ها..

- والله ما كان قصدي ابص لأمها ولا أي حاجة من دي، بس في يوم رحت ازورهم وكانت البت في درس اتحرجت وكنت هستأذن وهمشي البيت مفيهوش راجل وميصحش، الولية مسكت فيا وقالتلي على ما تشرب الشاي تكون البت جت دخلت عملت الشاي وغيرت هدومها. لبست

حاجة كده ضيقة وشفافة وبصراحة كانت قاعدة مش على بعضها وانا يعني كلك نظر انا بني آدم لحم ودم .

- ها ياعم البني آدم.

- أبدًا اللي حصل بقي كلك مفهومية .

المهم ان انا لما طلعت من عندها حسيت اني مخنوق ومتضايق وضميري بيأنبني وقولت دي آخر مرة اروح بيتهم لحد ما اتجوز البت وربنا حليم ستار.

- انت عارف ان كده مبقاش ينفع تتجوز البنت؟

- لا مكنتش اعرف، بس مرة شفت في التليفزيون فيلم شبه كده فرحت سألت واحد شيخ وقالي كده البت حرمت عليا.

- ها وناوي تعمل إيه؟

- مش عارف بقى، شوية اقول لنفسي ياض دي كانت لحظة شيطان وعدت متبوظش الجوازة، وساعات اقول طب هحط وشي في وش الولية دي تاني ازاي وانا صراحة مش مستأمنها تبقي جدةعيالي، وكمان خايف من الحرمانية اعمل ايه يا أبلة دبريني.

- التدابير لله، اقولك انت علاجك تتجوز امها.

- إنتي بتتريقي عليا، حقك ما انا اللي وقعت في الغلط وخليت الشيطان يعلّم عليا.

ترى ماذا تفعل يا صديقي أتتركها أم تتزوجها أم تتزوج الأم؟

* * *

(6)

جاري الحزين

لاحظت في بيتي الجديد أن الشرفة المجاورة لشرفتي دائمًا ما تكون مظلمة ومهجورة، وباب الشقة أيضًا محمَّل بالأتربة كأنما هجرتها الحياة منذ أمدٍ بعيد.

وبالأمس فقط، وجدت النور مضاءً في الشرفة فدفعني فضولي للنظر لأجد رجلًا ستينيَّ العمر يجلس بها وحيدًا مع فنجانٍ من القهوة وصوت السيدة أم كلثوم خافت جدًّا يأتي من هناك.

في أول الأمر فرحت بالجيرة الجديدة التي يبدو أنها هادئة؛ فمَن يحرص على جعل صوت الموسيقى خافتًا هو شخصٌ يتميز بالذوق الرفيع.

ركضت لأخبر زوجي أن لنا جارًا جديدًا بالشقة المهجورة وأنني سعيدة بهدوئه.

ابتسم زوجي لسعادتي الطفولية، وجاء إلى الشرفة وفوجئت به يلقي التحية على الجار الهادئ:

زوجي: مساء الخير يا حاج عزمي منور والله فينك من فترة؟

الجار: مساء الخير يا أستاذ، وألف مبروك على الجواز مع انها متأخرة.

عاد زوجي مبتسمًا من الشرفة وأنا أتساءل في دهشة كيف تعرفه هكذا ولم أره هنا من قبل؟ ولم تحك لي أن هذه الشقة مسكونة من الأساس؟

زوجي: دي قصة حب أحلى من اللي بتكتبهم يا بنتي.

أنا: ازاي يعني؟

زوجي متأثرًا: يانور الراجل ده كانت له زوجة وأولاد وأسرة جميلة، وهو كان شاري الشقة دي بناء على رغبة المرحومة مراته لأنها كان نفسها يكون لها بيت قريب من البحر.

أنا: ها وبعدين؟

زوجي: أبدًا، اشترالها الشقة دي وجهزتها بايديها وعملت كل تفصيلة فيها على ذوقها هي

هو سابها تعمل كل حاجة على ذوقها عشان تكون سعيدة كأنه كان عاوز يكافئها على تعبها معاه السنين دي كلها والأولاد الرائعين اللي خلفتهم وربتهم لحد ما بقوا يفرحوا العين ويسروا القلب.

أنا: ها..؟

زوجي: في يوم وهما جايين من بيتهم القديم لهنا عملوا حادثة راحوا فيها كلهم ومفضلش غير هو بعد فقد رجله وبنت من ولاده.

وعشان الحياة لازم تستمر لملم جراحه وعاش عشان بنته وعلى ذكري مراته 7 سنين لحد البنت ما اتجوزت وسافرت برة وبقي وحيد. وعشان الإصابة اللي أفقدته رجله ووحدته، اضطر يتجوز عشان يلاقي حد يجبله كوباية مية وهو في السن ده.

أنا: فعلًا، كان لازم يتجوز.

زوجي: ورغم كل ده مقدرش ينسي حب عمره طول السنين دي وهو قافل الشقة دي ومحافظ على كل حاجة فيها زي ما كانت المرحومة عاملاها بإيديها مافيش تفصيلة ولا مسمار اتحرك من مكانه من يوم الحادثة، ومنع اي حد يدخل الشقة أو يغير فيها. وكل ما توحشه أوي يجي هنا يقعد في البلكونة يشرب قهوة ويسمع غنوتها المفضلة "أغدًا لقاك". ويطلب نفس الأكل اللي كانت بتحبه ويشرب قهوة وسيجارة في البلكونة وفي الفجر ياخد عربيته ويمشي.

أنا: ياريت كل الناس تحب كده.

* * *

(7)

صاحبة الوشم الخليع

في طريقي من القاهرة إلى الإسكندرية، عادة ما أركب إحدى سيارات الميكروباص من ميدان الرماية، واليوم تحديدًا لسوء الحظ لم أجد إلا سيارة فارغة ليس بها راكب واحد؛ مما يعني أني سأنتظر في هذه السيارة ما لا يقل عن ساعة وأكثر حتى تمتلئ بالركاب.

جلست أنتظر في مللٍ وأكاد أفقد عقلي من حرارة الشمس، انخفض ضغطي وأقاوم رغبتي في النعاس.

وفجأة انتبهت كل حواسي على ضحكة رقيعة لا أسمعها إلا في أفلام السبكي، ولكنها كانت ضحكة حقيقية، التفتُّ لأرى مصدر هذه الضحكة، فوجدت كائنًا هو أقرب ما يكون لفتاة في العشرين من عمرها، وجهها يصرخ بالكثير من الألوان التي تؤلم النظر وترتدي لاشيء تقريبًا إلا "بنطلون إسترتش" شديد الضيق والشفافية، وعلى ذراعها العاري وشم قبيح لفتاة عارية وبصحبتها فتاة لاتزيد عن سبعة عشر عامًا.

جاءت هذه الفتاة تركض ركضًا لتركب في هذه السيارة، وطلبت من السائق أن يتحرك بسرعة، فرفض السائق التحرك لأن السيارة مازالت فارغة، فأخرجت الفتاة رزمة مالية ضخمة وألقت له بعض الورقات تغطي تكلفة السيارة ذهابًا وعودة عشر مرات على الأقل.

فسألهما السائق:

- عاوزينها مخصوص يعني انزّل الأبلة؟

فقالتا:

-لا خليها بس اتحرك بسرعة بسرعة الله يخليك.

تعجبت منهما، يبدو أنهماخائفتان من شيء ما، ولكن كيف للخائف أن ترن ضحكاته هكذا. وعندما أُغلِقَت السيارة، تبين لي السبب: إنهما تحت تأثير الخمر، فرائحة الخمر تسيطر عليهما.

بدأ السائق يعد نفسه للتحرك، فدق هاتف الفتاة ذات الوشم:

- الو ايوة ياعماد انا خلاص عرفت اهرب ومش هتعرف تلحقني ولا هتعرف مكاني ودنيا معايا ومش هرجّعها للقرف بتاعكم، تاني وإذا كان ضروري يعني نتاجر في لحمنا هنتاجر فيه بطريقتنا.

ما إن صمتت الفتاة حتى ظهرت علامات التعجب على السائق وعليَّ، بل أظن أن مقاعد السيارة نفسها تعجبت.

لاحظت الفتاة تعجبنا فقالت:

- إيه مالكم كل واحد عنده ظروفه.

أنا بنت يتيمة ومالیش حد غير اختي اللي اتجوزت، بس جوزها طلع ندل وشغّلني انا وهي مع العرب. أختي معترضتش عشان بتحبه بس انا قرفت وكان نفسي اطفش بس كان بهددني يرشني بمية نار لحد ما في يوم لقيته جاي وجايب اخته الصغيرة دي معاه، لقيتها طفلة صغيرة افتكرته جايبها نربيها وتعيش معانا لقيته بيقولي عاوزك تعلمها الشغل.

بصراحة مقدرتش وزعقتله. حبسني في البيت انا وهي وضرب وتعذيب لحد ما هربت منه انا والغلبانة دي.

القصة حقيقية على مسؤلية صاحبتها.

* * *

(8)

عائلة مختار سبرتو

مختار سبرتو أو كما يحب أن يعرّف نفسه لأمثالي من الشباب، هو أحد سُكّان شبرا الأصليين، وقد اعتاد سكان الحي الشعبي على مناداته بهذا الاسم؛ لأنك عندما تراه تشعر أنه شِبه غائب عن الوعي، يتحدث إليك بنصف عقل ونصف لسان، ولا أدري إن كان حقًّا يتعاطى أحد أنواع المخدرات، أم أنها الدنيا أدارت رأسه من كثرة ما مرَّ عليه من ضيقٍ وفقرٍ حتى صار سبرتو لقبًا ومعنى.

يعيش في أحد الأزقة في حجرة مع أسرته المكوَّنة من ثمانية أولاد وزوجته (الست ياسمين) لم أتعجب من كثرة عياله مع فقره الشديد، ولكن ما يثير العجب حقًّا هو أسماء أولاده.

السيد سبرتو له من الأولاد أربعة، ومن البنات أربع.

وقد أطلق على الأولاد الأربعة أسماء مضحكة هي كالتالي: "بلحة ،قوطة ،بصلة، رمانة" وهذا أقل مافي قصته من عجب؛ فأسماء البنات وترتيبهن هو العجيب حقًّا فهي بالترتيب هكذا:

سوريا 17 سنة

إيران 16 سنة

فرنسا 13 سنه

أمريكا 11 سنة

وليس هذا فقط العجيب، ولكن الأعجب طباعهم فطفلته أمريكا أصغر بناته تشبه كثيرًا أمريكا الدولة؛ فهي طفلة متنمّرة شقية لا تكف عن التعدي على أخواتها بالضرب والإهانة، وبالأخص سوريا التي تضربها أمريكا وتهينها وتجذبها من شعرها، وما يكون من سوريا إلا أن تتوجه بالشكوى للأب الذي يرد على شكواها بأن يطلق كحة غليظة محمّلة بخبرات قفصه الصدري ويربت على أمريكا قائلًا في تخاذل يشبه تخاذل المجتمع الدولي: معلش يا أمريكا.

وعندما سألته: ليه كده ياعم مختار؟

حكَّ رأسه عائدًا بها للخلف كأنما يبحث عن إجابة، ثم سعل قائلًا: شوفي يا ست الكل، أما خلفت سوريا كنت أيامها لسة بحب عبد الناصر، وسميتها سوريا أهي حاجة من ريحة الوحدة العربية، وسميت اللي بعدها إيران عشان كنت بحبهم، ناس بتوع ربنا كده وحلوين، ولما لقيت الدنيا ملطشة معايا سميت الصغيرين أمريكا وفرنسا جايز ينوبني جانب من حظ أمريكا العالي، ويوم ما خلفت أمريكا جاتلي هدية صوباع حشيش قُلت البت دي رزقها واسع واتفائلت بيها.

- طيب وسميت الصبيان كده ليه؟

- لا أبدًا، دي خالتك ياسمين، كانت خايفة عليهم من الحسد.

- طيب ومعلمتهمش ليه يا عم سبرتو؟

فأطلق ضحكة رقيعة قائلًا: قولي ياباسط، ماهو لامؤخذة حضرتك اتعلمتي استفدتي إيه؟!

مختار سبرتو إحدى شخصيات حي شبرا، وقد وافق على أن أكتب عنه تلك السطور بعد فاز بعلبة سجائر فاخرة.

* * *

(9)

سلوى

في بيت أحد معارفي، رأيتها، كان أهل البيت قد صار لهم وقتٌ يبحثون عمن تتولى المساعدة في تنظيف البيت وخدمة الصغار، حتى وجدوا سلوى.

هي وجه مصري تكوَّنت ملامحها السمراء من خليط من لفحة الشمس والشقاء تنم ملابسها ومظهرها العام عن فقر مدقع من ذلك الذي يطحن العظام ويسوق المرض إلى الجسد، عندما رأيتها شعرت أنها في الستين من العمر، مما جعلني أشفق عليها من عملٍ شاق كهذا، ولكن عندما سألتها عن عمرها أجابت:

- عندي 39 سنة يا أبلة.

- بس 39 سنة غريبة، شكلك كأن عندك 60 سنة .

- الشقا والغلب يا بنتي يجيب البني آدم ورا .

- انتي عندك ولاد ؟

- عندي ولد 21 سنة متخرج من سياحة وفنادق.

قالتها وكأنما تريد أن تقول لي إن هذا الولد هو أهم إنجازاتها في الحياة.

- ولد بس؟

- لالالا عندي بنت متجوزة وولد في ثانوية عامة نفسي ادخّله هندسة.

- طيب ربنا يخلي ويحققلك أحلامك، بس يعني مفروض ابنك الكبير ده يشتغل ويساعدك.

-يشتغل بلا وكسة.

*ليه بس؟

- ولاد الحلال أول ما اتخرج جابوله شغل في فندق في سيتي ستارز بمرتب كبير أوي قوي يجي 2000 جنيه، إشتغل هناك شهر واحد بس وساب الشغل.

- ليه بس؟

- بيقول عليهم ناس كفرة يرموا أكل يشبّع سوريا وأبصر إيه، الواد من ساعة ما جه من هناك نفسيته زفت وقاعد يبلبع في برشام ويشرب في سجاير.

- برشام وسجاير ياخبر اسود وبيجيب فلوسهم منين؟

- مانا بديله أجرة يوم من الأربع يوميات اللي بقبضهم.

- بتديله فلوس ال نضفتي بيها بيوت الناس وشقيتي عشان يجيب هباب؟!

- ده ضنايا ونفسه مكسورة يعني اسيبه يسرق، بكرة تعرفي غلاوتهم.

*- لايا ستي مش عاوزة اعرف.

- سلوي قولتيلي انتي جيتي هنا ازاي؟

-اه الجماعة دول كانو ناشرين إعلان في الوسيط وابني بتاع السياحة ده هو اللي قراه وقالي لقيتلك شغل يا أمي.

- اسكتي ياسلوى احسن فاضلي ثانية واروح بيتك اولع في ابنك.

ترى كم من سلوي تعيش في مجتمعنا المريض الذي يفرح أشد الفرح بإنجاب الولد وتحمُّل عيوبه وبفضّله على إنجاب ابنة، فالابنة في نظر سلوى عار، ترى ما هو تعريف العار في هذا المجتمع، عار أن تنجب بنتًا أم عار أن تنجب رجلًا يجلس في البيت منتظرًا مصروفًا من الأم ولا يهم مصدره.

ترى هل ابنها الآخر الذي تحلم أن يدرس الهندسة سيكون مثل أخيه.

لماذا كان أجدادنا يفرحون بإنجاب الولد ويطلقون له الأغاني "لما قالولي ده ولد اتشد ضهري واتسند اتشد بإيه واتسند على إيه"؟!

* * *

(10)

الله يحرقك ياسعيد

ست "أم حسني" سيدة مصرية أصيلة حتى النخاع، تحمل الجبال على كتفيها وتدعو الله أن يعينها ونادرًا ما تشكو.

تزوجت من سعيد هو رجل حاله مثل معظم ساكني الأحياء الشعبية لا هم له سوى الطعام والأنفاس التي يضيع فيها يومه.

سترت عيوبه وتحملت سلبياته وأنجبت له العديد من الأبناء، وقامت بدور الأم والأب؛ فقد كانت تعمل لتنفق عليهم وعلى أب كسول لا يبرح مكانه ولا يعيرهم اهتمامًا.

لم تشكُ يومًا من ثقل حملها، ولم تعايره بسلبيته وعدم فائدته لأبنائه أو لها؛ فقد صبرت عليه؛ عملًا بالمثَل الشعبي القائل "ضِل راجل ولا ضِل حيطة".

وعلى الرغم من عشرتهم الطويلة لم يكلف نفسه عناء شكرها أو جبر خاطرها بكلمة تزيح عنها عناء الزمن، ونسي أو تناسى أنها على قوة تحمُّلها وصبرها هي في النهاية أنثى تنتظر كلمة طيبة من رَجُلها.

وفي أحد الأيام، كنت أجلس مع صديقتي التي تمتلك أحد محال "الكوافير"، ودخلت علينا أم حسني خجلة قائلة بصوت يملؤه الحرج: هو يعني يابنات نفسي في حاجة بس النبي ماتتريقوا عليا.

فرحَّبنا بها قائلين: لا يا أم حسني اؤمري ماعاش اللي يتريق عليكي.

- أصلي نفسي كده اعمل شعري ششنار وبقى سايح ونايح كده ولو مرة من نفسي يمكن الراجل يبصلي ولا يقولي كلمة حلوة من نفسي.

- ياخبر عنينا..

وقامت البنات بتصفيف شعرها، حتى إنها كانت تنظر لنفسها في المرآة سعيدة كأنما طفلة تنتظر العيد وتحدّث نفسها قائلة:

- إيه الحلاوة دي يابت، النبي سعيد اما يشوفني هيتبسط خالص ومش بعيد يقولي انتي صغرتي واحلويتي.

ولكن ما حدث خيَّب آمالها وأصابها بإحباط شديد، فما إن رآها زوجها حتى أصدر أصواتًا اعتراضية وصاح بها قائلًا:

- إيه ياولية اللي انتي عاملاه في نفسك ده، إنتي اتجننتي ولا اتهرشتي في نافوخك انتي فاكرة نفسك ست..

شعرت أم حسني بطعنة في كبريائها؛ فقد أهانها هذا الكائن على مرأى ومسمع من أولادها، فخرجت من البيت ولم تجد مكانًا تذهب إليه إلا أن تعود لنا في محل الكوافير مرة أخرى طالبة منا أن نعيد شعر رأسها إلى سيرته الأولى.

وأثناء انهمار الماء على رأسها كانت تبكي قائلة: عمره ما قالي كلمة حلوة دايمًا كاسر بخاطري، يعني هيخس عليه حاجة لو قالي كلمة تجبر بخاطري.

وعندما أبدينا استياءنا منه تعاطفا معها، أجابت بكل نبل - ده برضه راجلي و ابو عيالي مستحملش عليه الهوا.

عزيزي الرجل المصري، إن الكلمة الطيبة صدقة وأولى الناس بها زوجتك وأهل بيتك، وهي لن تكلفك شيئًا..

رفقا بالقوارير يرحمكم الله.

* * *

(11)

حيرة!!!

هي "نشوى"، فتاة من حي شعبي تعمل في أحد محال وسط المدينة، وهناك التقت بمجدي، شاب مكافح يعمل في أحد معامل التحاليل، وربطت بينهما قصة حب تقليلدية صبر كفاح ثم زواج، وكان زواجهما حقًا مثال الزيجة السعيدة التي يحلم بها الجميع، ولكن لأنه ليس هناك سعادة كاملة فقد مرت سنوات رُزِقا خلالها بالمال وانتقلا من شريحة المكافحين إلى طبقة أخرى، ولكن كل هذا لم يغنِ عن وجود طفل يحرك صراخه جنبات البيت الساكنة بالحب الشديد لبعضهما البعض، ألغى فكرة الطلاق بعد ان اعياهم البحث عن دواء يجعلهما قادرين على الإنجاب ولا شريعتهما تسمح لمجدي بالزواج من أخرى، بالإضافة إلى أن الأطباء أجزموا لمجدي أنه من المستحيل أن يكون أبًا لوجود عيب خِلقي يمنعه من الإنجاب إلا إذا حدثت معجزة.

نسي مجدي ونشوى الأمر أو تناسوه وتعايشوا مع الواقع المرير متحملين نظرات الشفقة ودعوات الأهل والأصدقاء بحدوث تلك المعجزة. إلى أن حدثت بالفعل معجزة وأعلنت نشوى أنها تشعر بحركة في أحشائها.

طار مجدي من الفرح بالمعجزة واحتفلت به عائلته وأصدقاؤه ودبَّت الحياة في وجهه من جديد، ولكن حدث أمر في يومٍ أطاح بفرحة مجدي وجعله يتحول إلى مريضٍ بالشك يرفض أي علاج.

ففي يومٍ، أثناء جلوسه على المقهى حدث أن تشاجر مع أحد شباب الحي الشعبي وتطورت المشاجرة إلى تبادُل الشتائم وتشابك الأيدي. وأثناء تلك الفوضى رشقه الشاب بجملة أطاحت باستقرار عقله وراحة باله، فقد قال له:

- إلا قولّي يا مجدي هو انت اتعالجت فعلا ولا مراتك اتصرّفت؟؟

الجملة تحمل في داخلها تصريحًا واضحًا أن الجنين الذي تحمله زوجته قد يكون ابن فاحشة، أو ليس ابنه أو أن زوجته سقطت في خطيئة دنست شرفه، الجملة تحمل كل هذه المعاني دفعة واحدة.

انتهت معركة مجدي مع الشاب لتبدأ معركة أخرى مع الحيرة والشك الذي عصف به.

هو خائف من أجراء تحاليل لمعرفة الحقيقة، وخائف من مواجهة زوجته بالسؤال فإنها إن كانت خاطئة انتهت حياتهما معًا، وإن كانت بريئة فلن تسامحه على سؤاله هذا أبدًا.

أنهى مجدي قصته قائلًا: أصعب حاجة في الدنيا إنك تبقى نفسك تعرف وخايف تعرف.

* * *

(12)

حُب

دقَّ جرس الباب لتفتح سيدة عجوز تخطت السبعين لبياغتها شابٌ لزج قائلًا: مساء الخير يا حاجّة، إحنا شركة مبيدات.

بدا الارتباك على السيدة التي لم تدرك حرفًا مما قاله الشاب، فوقفت في مكانها كطفلة تائهة.

وعندما لاحظ الشاب ارتباكها وعدم إدراكها، استغلّ ضعفَها وأزاحها من طريقه ودلف إلى الداخل، وعندما تأكَّد من خلوّ البيت إلا منها، حملَ كل ما استطاع حمله أجهزة حاسب محمولة وهواتف وبعض الفضيات والمشغولات الذهبية.

وهي مازالت واقفة عند الباب غير مدركة لشيء، وانصرف الشاب مغلقًا الباب خلفه تاركًا العجوز شِبه الغائبة عن الوعي.

وعندما عاد أفراد الأسرة أدركوا أن لِصًّا دخل البيت وسرق بعض المحتويات فكانت ردود افعالهم كالتالي:

الابنة: مش معقول كده يا ماما. أنا قُلت من زمان نوديكي مصحة وبابا رفض يعني بتنسي وقولنا ماشي كمان مش قادرة تميزي بتفتحي الباب لمين!

السيدة العجوز واقفة في مكانها تبكي في صمتٍ عاجزة عن الرد.

الحفيدة : مش ممكن بقى يا تيتة التخريف اللي انتي فيه ده، إنتي أكيد مش عارفة ضيّعتي إيه.

وهكذا كلما دخل أحد الأبناء أو الأحفاد صوَّب إليها عبارات اللوم الجارحة غير مقدرين لما تشعر به من انكسار وضعفٍ، حتي عاد هو عندما رأته دبَّت في معالمها الروح كطفلة كانت ضائعة في الصحراء ثم وجدت أباها فجأة أمامها.

اقترب منها وأخذ بيدها مقبِّلًا جبينها قائلًا: مالك يا صافي؟

هنا تنبهت حواسها دفعة واحدة وارتفع صوتها الباكي بحثًا عن حروفٍ ضائعة وإدراكٍ غائبٍ لتروي له ما حدث بكلمات متقطعة ونبرة متألمة، وبصعوبة بالغة استطاع ان يتفهم ما تريد قوله: أن شخصًا غريبًا دقَّ الباب، وعندما فتحت دفعها وسرق بعض الحاجيات .وكيف أنها كانت عاجزة عن التصرف خائفة. والآن هي نادمة أسفة لأن كلام الأبناء والأحفاد أشعرها بأنها عجوز خرفة عديمة النفع وغير قادرة على حماية بيتها.

وهنا أمسك الزوج الحاني بيدها وقبَّلها قائلًا: مش مهم أي حاجة تضيع المهم انتي تعيشي وتبقي بخير، مش مهم اللي ضاع قبل كده واللي هيضيع بعد كده انتي أهم حاجة في دنيتي كلها.

السيدة في القصة السابقة مصابة بمرض الزهايمر منذ أكثر من خمسة عشر عامًا، ومازال الزوج صابرًا متحملًا لتقلبات مرضها وتدهور قدراتها العقلية رافضًا نصيحة أبنائه أن يودعها إحدى دور المسنين أو المصحات، حريصًا على أن يمضي معها كل يوم في عمره حتى يفرقهما القدر. وبالرغم من كل المعاناة والتعب والخسائر أبدًا لم يعبث بوجهها ولم يصرخ عليها، وعندما تشتد بهما الأزمات يخرج صورتها يوم زفافهما وينظر لها بعينٍ دامعة قائلًا: "هفضل طول عمري شايفك كده جميلة وذكية ورقيقة"

إنه الحب ياسادة عندما يسكن القلوب الراقية.

القصة حقيقية مع تصرُّف بسيط.

* * *

(13)

جحود

"الحاج مرعي" رجل من حي شعبي يُحسَب على الناس المحترمين، يعمل بالتجارة مع إخوته الأربعة، وكحال معظم الأسر الميسورة في الأحياء الشعبية، تعيش أسرة الحاج مرعي وأشقاؤه الأربعة في بيتٍ واحدٍ مع أم أفنت عمرها في تنشئتهم.

حتى هنا والأمر عاديّ ومكرر في كثير من البيوت المصرية، ولكن الأمر العجيب هو القصة التالية:

كانت السيدة أم مرعي حِملًا ثقيلًا على زوجات أبنائها، وخاصة زوجة مرعي؛ حيث صراع اليد العليا بين الأم وزوجة الابن الأكبر قصة خالدة في كل عائلة مصرية.

كل يوم يعود مرعي من عمله ليجد زوجته تضج بالشكوى من أمه وتكرر طلبها في الاستقلال بالحكم في البيت، وفشل مرعي في حلِّ النزاع الذي لا ينتهي بين الأم والزوجة فتفتق ذهنه عن فكرة خبيثة تعجز الشياطين عن إدراكها وترفضها حتى الوحوش الضارية.

فقد دخل على الأم حجرتها متصنّعًا الابتسام قائلًا:

- تعالي يا أمي انا عازمك على عمرة.

- صحيح يا مرعي يا ابني هتوديني ازور النبي ؟

-طبعا يا امي هو انا ليا بركة غيرك

- ربنا يخليك يا ابني ويسعدك.

-يلا يا حاجة اجهزي.

وفي أقل من أسبوع كان مرعي قد أحضر أوراق وتذاكر السفر واستعد للسفر بصحبة الأم والزوجة.

وعندما وصلوا الأراضي السعودية، نفّذ مرعي خطته الحقيرة بمساعدة زوجته ظنًا منهما أن كشف أمرهما مستحيل ..

وعادا إلى القاهرة بعد أسبوعين، ودخل مرعي على إخوته دامع العينين بصحبة زوجته وهي متشحة بالسواد متصنعة البكاء.

وعندما سأله إخوته : "فين امك يا مرعي؟"

أجاب بثبات تحسده عليه الأفاعي: "الله يرحمها ماتت في الأرض الطيبة".

وأضافت زوجته لتضفي على القصة مسحة درامية: " الله يرحمها سبلتها بإيدي".

الإخوة : لا حول ولا قوة إلا بالله.

وأقام مرعي والإخوة سرادق عزاء مهيبًا، ووقف بعيون دامعة يتلقى كلمات التعازي.

بينما أخفت زوجته فرحتها بالتخلص من الأم وأحكمت قبضتها على البيت، حتى إنها ألقت كل ما كانت تملكه الأم خارج المنزل، وجعلت من حجرتها مجلسًا لها ولنساء الحي.

وبمرور الوقت اختفت معالم الحزن من البيت ونسي مرعي وإخوته أنه كانت هنا امرأة لها فضل على وجودهم في الحياة وأوصاهم الله بها.

حتى مرت ستة اشهر، وبعد مرور الأشهر الستة، ساق القدر أحد أبناء الحي الشعبي العاملين بالأراضي السعودية للصلاة في الحرم المكي، وهناك رأى عجوزًا باكية تفترش الأرض وتصيح بصوتٍ تخنقه الدموع: "يا مرعي يا ضنايا ياتري جرالك ايه يا ابني"

تعرّف الشاب على المرأة العجوز فاقترب منها قائلًا: الله! ست ام مرعي..

فشخصت المرأة ببصرها قائلة: إنت تعرفني يابني؟

- أنا محمود جاركم يا حاجّة وصديق ابنك مرعي.

- طيب يا ابني أنا كنت جيت عمرة مع ابني مرعي وسابني هنا هو ومراته وقالوا رايحين يجيبوا هدايا وراجعين على طول وبقالي شهور هنا بنام في أي حتة واكل من حسنات الحرم تعبت واتهدلت يا ابني ومافيش معايا أوراق ولا عارفة حصلّه إيه يارب تكون بخير يا مرعي يابني، أنا طول الوقت اطلب من ربنا يبرّد قلبي من ناحيته ويطمني عليه

- ياحاجة والله ما يستاهل الكلام ده.

- لا يا ابني ابني ضنايا يستاهل كل خير.

وعبثًا حاول محمود أن يشرح للمرأة دناءة ولدها إلا أنها لم يكن لها هم سوى أن تتأكد أنه بخير.

توجَّه محمود إلى القنصلية واستخرج لها بعض الأوراق ليتمكن من إعادتها لبيتها، وعندما أحضرها وعاد للحي الشعبي. وما إن رآها أهل الحي حتى توجهوا بحديثهم للابن الخبيث، قائلين:

- هي دي امك اللي بتقول ماتت يا مرعي؟! هو انت كنت بتوزعها عشان تربح مراتك.

واهالت عبارات اللوم والتقريع على مرعي وزوجته من أهل الحي، حتى إنه لم يتحمل عار ما فعل وأصيب بجلطة أسقطته أرضًا.

وللعجب فإن الأم ألقت بنفسها عليه باكية قائلة: أنا فداك يا ضنايا ياريتني بدالك يابن عمري.

* * *

(14)

سُكَّر!!

بدأ النمل يغزو حمَّام بيتي نظرًا لبعض التصدعات في البلاط، فطلبت من بعض معارفي أن يحضروا لي من يقوم بإصلاح الصدوع.

وعندما دق بابي وقمت لأفتحه، وجدت طفلًا لا يزيد طوله عن متر، يحمل معدات، وعندما سألته عن الأسطى الذي يعمل عنده، أجابني ضاحكًا:

- هو انا مش عاجبك ولا إيه يا ابلة؟

- آسفة اتفضل.

وأشرت له على مكان الصدوع ولم تكد تمر عشر دقائق حتى صاح قائلًا:

- خلاص ياست الكل، أنا سقيت البلاط تاني اهو ومش ممكن أبدًا يسرب أي مية ولا هيطلع منه نمل .

- متشكرة ياسكر حسابك كام؟

- 120 جنيه بس وده عشان خاطرك انتي بس.

-120 جنيه يا سكر وكمان عشان خاطري دا انت مكملتش نص ساعة وهما شوية جبس دوبتهم في مية ورشيتهم على البلاط.

- هههههههههه ومعملتهمش انتي ليه ياست الكل ولا فاكراه جرنان هتقريه.

- معملتهمش عشان ده شغلك انت كل واحد يعمل شغله.

- طيب هاتي بقي ال 120 جنيه عشان ورايا شغل كتير.

- كمان عندك شغل تاني النهاردة؟

-اه ياست الكل.

-امم وبتصفّي كام بقي في اليوم ياسكر؟

- والله ياست الكل مش دايمًا. يعني لو يوم سَكّة بعمل شغلانات خفافي زي شغلانة حضرتك دي واروّح ب 120 أو 150 جنيه.

-تعرف ياسكر انا عندي بكالريوس وشهادة كده ملهاش لازمة تعادل ماجستير وعمري ما كسبت المبلغ ده في اليوم. ده حلو قوي لو كسبتهم في إسبوع.

- عدم المؤاخذة يا أبلة انتو فاهمين الدنيا غلط وكل واحد بياخد رزقه.

- أه يا سكر عندك حق والله .

ملحوظة

سكر عنده 14 سنة صنايعي بلاط وسيراميك.

* * *

(15)

صانع اليخوت

عندما ترى وجهه ستعلم أنه موجود على هذه الضفة منذ شقّ النيل طريقه للحياة، حتى التجاعيد التي تزاحمت على وجهه هي أقرب للوحة رسمها رسام بارع يصوّر فيها موجات النهر الخالد. يعيش عم آدم أو كما يحب أن يسمّي نفسه الرئيس آدم على ضفة النيل في منطقة ما بالقرب من بيتي.

الرئيس آدم وبدون مدح. هو في الحقيقة أروع من صنع اليخوت في تاريخ مصر المحروسة، يقول إنه تعلّم هذه المهنة من أبيه الذي صنع يختًا صغيرًا للملك فاروق.

كان قد طلبه منه ليتنزه به في النهر الخالد أيام أن كان لمصر ملكٌ شابٌ يحب النيل.

وعندما سألته عن قصة أبيه ويخت الملك انتعش فخرًا وقال:

- يابنتي ابويا اللي عمل يخوت الملوك هنا أيام ما كان عبد الوهاب بيغني النيل نجاشي.

- عمري ما شفتك بعيد عن البر ده ياعم آدم، إنت ليه مش بتخرج؟

- أخرج اروح فين، وليه؟

- يعني تروح أي حتة، إن شالله حتى تشتري طلباتك.

- طلباتي بيجبوهالي الصنايعية.

وانا لو بعدت عن هنا اموت دا انا مرة ابني غصب عليا اروح اعمل أوراق، جاتلي كرشة نفس وكنت هروح فيها، يا بنتي انا روحي هنا.

*طيب فين ولادك وعيلتك؟

ابتسم في مرارة محاولًا الهروب من سؤالي اللزج:

- تعرفي يانور، أنا صنعت طول عمري حوالي 2000 يخت في منهم دلوقتي في ميلانو وشواطئ الخليج، وفي أمير عربي طلب مني أعمله يخت واحط فيه مسامير دهب وانا رفضت مع إنه كان عارض عليا ثروة.

- طيب رفضت ليه؟

- أنا مش بتاع فلوس وهاخدها ليه واصرفها فين، أنا سمكة من النيل تعشيني وخلاص.

- أنا برضه مصممة اعرف ابنك ده فين.

- إبني مش سمكة زيي، ده مولود طاير.

لمعت عينا عم آدم بالدموع وهو يقول:

- وحشني أوي ابو قلب خشب.

- طيب ما تروحله أو اتصلّك بيه يجيلك.

- لا يابنتي ربنا يسعده. ده مبقاش ابن بتاع اليخوت ده بقي صاحب يخوت وعربيات وشركات وهموم كتير مش عاوز اكون هم من همومه.

وبعد شوية أسئلة وحب استطلاع مني، عرفت إن ابنه راجل أعمال كبير أوي، وانه بيتكسف يقول إن الريس آدم يبقي ابوه.

ياالجحود الأبناء ..!

* * *

(16)

عِطْر

بعد أن باءت كل محاولات الأهل والأقارب والأصدقاء في الصُلح بينهما بالفشل،

حاول الكثير من الأصدقاء معرفة سبب الخلاف ولكنه رفض أن يبوح بسِرِّ الخلاف.

أبو الزوجة: يا ابني انطق قولّنا إيه اللي مزعلك منها؟

الزوج: معلش ياعمي، الحياة وقفت لحد كده ومافيش داعي اننا نكشف خصوصياتنا.

أم الزوجة: بعد ما استحملناك وصبرنا عليك تبيعها كده هي دي عمايل ولاد الأصول!

الزوجة: إنت مفكرتش في حبنا وبنتنا الجميلة خلاص يعني نسيت كل حاجة.

الزوج: انا قولتلك قبل كده وحاولت اصلّح منك وانتي بتكابري.

الزوجة: خلاص بيني وبينك المحكمة.

الزوج: انتي مصممة ليه اننا نكشف خصوصياتنا؟

الزوجة: خصوصياتنا!!!!!!!! إنت اللي بتفكر في حاجات تافهة، اللي بيحب حد بيقبله زَي ماهو يا أستاذ.

وفي قاعة المحكمة.

تقدم بخطوات بطيئة يملؤها الأسف إلى قاعة المحكمة.

القاضي: انت رميت على زوجتك اليمين وهي بتطالب بحقوقها.

الزوج: أيوة يافندم رميت عليها اليمين ومستعد اديها كل حقوقها.

محامي الزوجة : إن موكلتي مصممة ومصرة على معرفة سبب الطلاق وعرضت في مقابل ذلك التنازل عن كافة حقوقها الشرعية.

الزوج: بالرغم من حبي لها ولبنتنا واحترامي الشديد ليها ولأهلها بس طالما هي مصممة خلاص مضطر اقول:

- زوجتي يا حضرات ست مهذبة وجميلة ومتعلمة وبنت ناس وانا حقيقي بحبها، بس فيها عيب حاولت كتير اصبر عليه وحاولت اصلّح منها بس هي بتكابر ومصممة ان مافيهاش أي غلطة، زوجتي لها رائحة عرق لا تطاق حاولت كتير اجبلها عطور ومزيلات عرق وفهمتها بطريقة شيك اني بقوم من النوم على ريحتها اللي لا تطاق وعشان محدش يتهمني اني ببالغ أنا

استحملتها 7 سنين عمر جوازنا بس خلاص حقيقي مش قادر. أنا اتعلمت ان آخر ما يبقى من المرأة عطرها وان العطر شخصية المرأة وانا مش لاقي ده في مراتي حتى كل الأديان بتطالب الست انها تكون طيبة العطر قدام زوجها وانا كل ال طلبته منها..

عطر..!

* * *

(17)

وَجَعٌ

مثل كثير من الفتيات في سن المرا هقة، مازالت تتعرف على ملامحها كأنثى في كل يوم تنظر في المرآة وتكتشف شيئًا جديدًا صنعه صانع الجمال في الكون. استدارت ملامح وجهها موحية بأنثى ستكون جميلة أو هكذا ظنت في نفسها.

هي فتاة من أحد الأحياء الشعبية ذات جمال عادي، وجه مقبول، روح مرحة مازالت في طور النمو. عندما وصلت لمرحلة ما في التعليم، قررت أن تعمل بجانب الدراسة لتكون مسئولة عن تقرير مصيرها.وجدت ضالتها في أحد محال الملابس حيث مواعيد العمل توافق ظروف دراستها الجامعية.

وسارت مركب الحياة بدون جديد، حتى جاء أحد أيام نوفمبر الرمادية، استيقظت من نومها مذعورة حيث تأخرت عن عملها: ياربي لابد أن افتح المحل قبل أن أذهب للجامعة.

ارتدت ملابسها في عجالة، ودون أن تودّع جدتها، أسرعت إلى المحل، وما إن فتحته حتى فاحت منه رائحة مادة بترولية هي في الغالب بترين.

ماهذه الرائحة لابد أن عامل النظافة قد نفّذ ما أمرته به في المساء وقام بوضع بعض البترين على البلاط لتنظيف بقع الطلاء لا بأس ستزول الرائحة بعد قليل.

دقائق ودخل أحد زبائن المحل حاملًا سيجارته المشتعلة:

- صباح الخير يا آنسة .

-صباح النور أي خدمة؟

- أيوة لو سمحتي عاوز بنطلون إسود.

- اتفضل.

ألقى الشاب سيجارته على الأرض الملينة بالمادة الحارقة وهي لم تلاحظ ما حدث ولا تعرف ما ينتظرها.

الشاب في تعجُّب:

- انتوا لسة بتنضفو طيب انا همشي وارجع بعد شوية.

-اتفضل..

دقائق قليلة وشبَّ حريق هائل في المحل وكانت هي لا تزال بالداخل.

لمن لم يجرب هذا الإحساس من قبل، النار وأنت داخلها ليست حارقة، ولكن العجيب أن لها صوتًا مرعبًا يجعل عقلك يتوقف عن الحياة.

صرخت مرتعبة:

- إلحقوني.. إلحقوني...

تحرك الكثير من الجيران ورواد المحال والمقهى المجاور للسيطرة على الحريق، وهي كمن أصيب بسكتة دماغية، لا تعرف ما يدور حولها.

ما إن تمت السيطرة على الحريق، فوجئت بجميع من حولها يردد عبارات مثل:

عاصم صاحب المحل المجاور: لاحول الله يارب بنت لسة صغيرة.

سيدة من الشارع: ياخسارة شبابك يا بنتي.

شاب آخر: خلاص راحت على كده.

رجل عجوز: ربنا يصبّر أهلها.

ماهذا ماذا يقولون هل يتحدثون عني؟ بالتأكيد لا، أنا مازلت واقفة على قدميا وبصعوبة نطقت:

-ممكن حد يديني اشرب.

عاصم: محدش يديها مية المية مش كويسة على الحروق.

شاب آخر: شوفولنا عربية يا اخوانا، البنت هتموت واحنا واقفين.

هي لا تدري أنهم يتحدثون عنها.

قام بعض الشباب بإحضار سيارة.

عاصم: أقرب مستشفي ياسطى.

حملوها ووضعوها داخل السيارة وهي لاتزال مندهشة لا تدري مايحدث.

السائق- عاوزين مستشفي تعالج ولا تخلص؟

عاصم: تخلص ايه بس ياسطي حرام عليك عاوزين نلحقها.

السائق: أنا قلبي عليكم، لو وديناها مستشفى نضيفة هياخروها في المشرحة ومش هتعرفوا تدفنوها قبل إسبوع.

الشاب الآخر: ياجدع انت ايه مش بني آدم خلاص يعني حكمت انها ميتة ولا انت مكشوف عنك اللحاف.

السائق: ياعم انت مش شايفها ده الموت راحة.

عاصم: سوق وانت ساكت الله يباركلك .

هنا بدأت تنتبه من إحساس الصدمة وبدأ عقلها يستعيد قليلًا من الصفاء.

إنهم يتحدثون عنّي.. هل أنا ميتة الآن؟ ولماذ يتكلم السائق عن شكلي.. ياربي لقد نسيت أن أنظر في المرآة هذا الصباح، أريد أن أرى وجهي، سأنظر في مرآة السيارة دون أن يلاحظ أحد. وما إن رفعت رأسها لتنظر في المرآة، حتى أسرع الشاب الجالس بجانب السائق بوضع يده على المرآة ليخفيها، ونظر لي مبتسمًا: إنتي قمر، إحنا بس هنروح ناخد حقنة مسكّنة كده بس وتروحي تنامي .

-اه انا عاوزة انام كتير أوي راسي وجعاني.

وفي المستشفي دخلو مسرعين.

عاصم: عاوزين إسعاف ياخوانا معانا واحدة بتموت.

تجمع عدد من الممرضات واحد الأطباء.

الطبيب: شيلوا الهدوم اللي عليها دي عشان نعرف حجم الإصابة.

-لالالالا محدش يشيل هدومي انا.

الطبيب يقترب منها يضع سماعته على قلبها ينظر لها في أسف ثم يقول للمرافقين معها: - البقية في حياتكم يا شباب.

-بس انا عايشة اهو يا دكتور وبكلمك.

الطبيب بكل بلادة : هتموتي ان شاء الله خلال ساعتين ولعلمك ده أفضل في حالتك.

-حالتي؟!!!!! يعني إيه؟

الطبيب - الأوضة إياها.

واتضح أن (الأوضة إياها) هذه مجرد غرفة بسرير هي بمثابة ثلاجة للأحياء: حيث يوضع فيها المريض الميؤس منه بدون أي رعاية طبية حتى يتوفى. وهذا ما حدث تركوها لمدة 48 ساعة تصرخ من الألم بدون حتى قرص مسكن. وبعد مرور هذا الوقت العصيب دخل إلى الغرفة ذلك الطبيب السمج:

- مممم حمدلله ع السلامة يا آنسة.

-الله يسلمك يادكتور انا بقالي كتير بصرخ محدش رد عليا، إنتوا ليه مش بتعالجوني لو انا مش محتاجة علاج روحوني وخلاص الأوضة هنا ريحتها وحشة أوي.

- هههههه بصي يا آنسة انتي كنتي هتموتي وأنقذناكي.

- أنقذتوني !!!! أنا بقالي يومين بصرخ محدش جابلي قرص مسكن وتقولي انقذتوني.

- طيب طالما انتي فايقة كده لازم تعرفي حاجة الريحة الوحشة اللي في الأوضة دي ريحة دراعك اليمين. إحنا اسفين كنا فاكرينك هتموتي فمحبيناش نوجعك ونعملك غيارات عليه قولنا خليها تموت في هدوء، لكن اللي حصل انك لسة عايشة ودراعك باظ خالص ولازم نعملك بتر، وعايزين حد من أهلك يمضي على إقرار بالموافقة.

صرخت صرخة عظيمة:

- انت مش دكتور انت جزار انا عايزة اخرج من هنا خرجوني من هنا.

- خلاص خلاص خليكي هنا لحد ماتموتي بلاش قرف انقلوها عنبر (ج).

إحدى الممرضات تضعها على كرسي متحرك وتدخل بها المصعد، وهناك كانت الفاجعة..

المصعد به مرآة، ولأول مرة تري وجهها في هذا اليوم منذ استيقظت من النوم.

-أيه ده مين دي مش ممكن اكون انا لالالالالا، أنا لو ده شكلي أبقى لازم اموت، لا انا أصلًا ميتة مش الدكتور قال كده والنبي سيبوني اموت..

وسقطت في غيبوبة لأكثر من شهر..

وعندما أفاقت وجدت ان الحياة انقسمت لقسمين، ما قبل الحادث حيث كانت مجرد مراهقة تنتظر مستقبلها، ومابعد الحادث حيث عليها أن تتكيف مع الإصابة التي قضت على كل ملامح الجمال في وجهها.

نصحها الأطباء بالكثير من الجراحات التي أجرتها ولم تتحسن، حاولت أن تعود لعملها، ولكن صاحب العمل أجاب أنه لايرغب في فتاة مثلها على حد تعبيره: معلش يا بنتي بس ده محل أكل عيش والزباين بيحبو يشتروا من بنت تكون جميلة.

هي بينها وبين نفسها اقتنعت أن هذا قضاء الله ولا راد لقضائه، ولكن الناس لا يقبلون بها ستقول لي ومالنا والناس سأجيبك:

الناس هم

صاحب العمل الذي طردها لمجرد أن حدث لها حادث لا ذنب لها فيه.

راكب بجوارها في ميكروباص: انتي مبتروحيش لدكتور ليه يابنتي؟

جارة: ما تلبسي يابنتي نقاب وتخبي وشك ده بدل ما انتي مضايقة الناس.

صديقة طفولة: معلش مش هنعرف نخرج زي زمان عشان شكلك ملفت للنظر.

مجموعة شباب واقفين على ناصية: شفت ياض الشبح ال معدي قدامك ده عليا الطلاق لو طلعتلي في الضلمة لاترعب.

أم صديقتها التي أحضرت لها عريسًا كفيفًا قائلة: إتجوزيه أهو لا هو شايفك ولا انتي سامعاه. مع ضحكات سخرية مريرة.

بعد معاناة طويلة اكتشفت أن التشوه عندها مجرد حاجة في وشها، لكن المجتمع طلع متشوه من جوة ومن برة.

* * *

(18)

معدّية

لم تكد خيوط الفجر تنشب نسيجها في السماء حتى دقَّ جرس هاتف معلنًا الساعة الخامسة. فتحت الأم باب حجرته قائلة:

- إصحى يافارس يا ابني الصنايعية مستنيينك.

- يووه طيب طيب انا قايم اهو.

- ماهو انت لو كنت بتربّح نفسك كنت قمت فايق.

-هو انا قولتلك تعبان يامّا.

- يا ابني بالراحة على نفسك دي الدنيا اتخلقت في 6 ايام .

- يامّا ادعيلنا دعوتين عالصبح بدل الكلام ال يوقف الحال ده.

- ياضنايا انا خايفة عليك صحتك يا ابني في حد في الدنيا يشتغل ورديتين لحد الفجر ويصحى يروح شغلانة تانية؟

- ياما الرزق يحب الخفية وربنا قال اسعى ياعبد وانا اسعى معاك، وانا ورايا جمعيات واقساط .

- كل ده عشان بنت نوال يا بختها بيك..

- بحبها يامّا ونفسي اجبلها حتة من السما، ربنا يجمعني بيها في بيت واحد قبل ما اموت.

- بعد النشر يا ابني تفرح وتتهنى بعروستك إن شاء الله.

- يلا خلاص، انا لبست عاوزة حاجة من برة؟

- عاوزاك طيب يا ضنايا.

انطلق فارس يعدو للحاق بزملائه والبدء بالعمل مبكرًا، كان فارس يسكن في إحدى الجزر القابعة في النيل وتربطها بالعالم الآخر معدية بدائية يركبها فارس وكل من له عمل أو مصلحة يريد قضاءها من المدينة في كل يوم.

وعندما وصل فارس لعمله بإحدى المدن الجديدة بالقاهرة، شرع في العمل بكل نشاط، فهو يريد أن ينتهي سريعًا من العمل للحاق بعمل آخر كان يبذل قصارى جهده لتجهيز مسكن يليق بفتاته التي اختارها قلبه وقرر أن يجعل مسكنهم قصة ترويها الجزيرة لسنوات، وعندما اقترب العمل على الانتهاء، كان فارس يحث زملاءه على العمل قائلًا:

- يلا يا علي، يلا يا هاني عاوزين نخلص المرمة دي ونطير.

- مبالراحة علينا ياسطى فارس مش عالحامي كده.

- لا ياخفة مافيش بالراحة عاوزين نلحق نروح شغلانة العاشر.

- الجزيرة كلها ملهاش سيرة غيرك يافارس، بيقولو إيديك تتلف في حرير ويتاكل الشغل أكل.

- الله أكبر في عين امك ياعم يلا خلينا نخلص ناولني شوية المونة دول.

- هتروّح ياسطى.

- لأ عندي شغلانة صغيرةمش عاوز اروح غير وانا معايا قسط الجمعية.

- انت خلصت الشقة؟

- يووووه من بدري، لازم الجزيرة كلها تحلف بشقة فارس ياض.

- ناقصلك حاجة مش عاوز مساعدة احنا عنينا ليك انت طول عمرك جدع؟

يرد فارس وهو ينظر للسماء حالمًا:

- مش ناقص غير العروسة تيجي تنور فيها بس انا مشطبها لوكس وركبت تكييف كمان.

- ايوة بقي بايضالك في القفص يابنت نوال.

- اخرس ياض متجيبش سيرة ست البنات.

- قشطة ياعم الله يباركلو خلاص هنسبق احنا ونتقابل في الجزيرة متتأخرش.

وبعد غياب الشمس كان موعد غياب شمس أخرى، فارس يركض نحو المعدية متحدثًا إلى نفسه: "اليوم خلص عاوز الحق المعدية ووه المراكبي بيفك الحبل لو فاتني يبقى ساعة ضاعت أنا أولى، بيها اجري يا فارس"

وأثناء ركضه كان ينادي على عامل المعدية لينتظره: إستنى يا مراكبي الهم انت ياحسين ياجدع مش بنهدلك.

- يلا بسرعة يافارس المركب فارقت البر.

واصل فارس الركض لاهثًا كأنما يركض خلف قدره.

المركب فارقت البر، ولكنه أصر على القفز للحاق بها.

سقط فارس في الفجوة بين المعدية والمرسى ليغرق تاركًا خلفه أحلامه وطموحاته وعروسه التي يحلم بها.

بعد مرور الأربعين يومًا الأولى على وفاته. تقدَّم أخوه لخطبة عروسه وتزوجها في نفس المسكن الذي أعده فارس.

الشيء الوحيد الذي تحقق من حُلمه هو أنه وشقته صارا حديث الجزيرة كلها.

قصة حقيقية تكررت كثيرًا ولم يتحرك مسؤول واحد لوقف سيل الدماء الذي يسيل على المعدية كل عام.

* * *

(19)

البرنس

هو ليس "برنس" اسمًا بقدر ماهو برنس وصفًا، نعم فإن يديه الناعمتين ووجهه شديد الوسامة الذي لم يعرف العرق له طريقًا.. وفيما قد يعرق هذا البرنس وهو منعم منذ ولادته؟!

هو الابن الأصغر للحاج أبو العزم كبير عائلة من أثرياء الدلتا عندما كبر الأبناء قرر الحاج أبو العزم الانتقال بأبنائه للقاهرة ليناولوا قِسطًا من التعليم الجامعي والحياة القاهرية المتمدينة:

فجمع أبناءه وانتقل إلى القاهرة بعد أن اشترى بيتًا يليق بعائلة ثرية.

وكمثل معظم أبناء الريف كان لبناته جمال أخَّاذ فضلًا عن التعليم وحُسن الخُلُق.

بمجرد انتقالهم إلى القاهرة في فترة الثمانينات حيث كان الأثرياء العرب يأتون للزواج من مصريات، أعجب أحد الأثرياء العرب بالأخت الكبرى للبرنس التي كانوا يطلقون عليها في الحي الشعبي "ست الحسن".

تزوجت ست الحسن من الثري العربي في حفل زفاف لازال حديث الحي منذ سنوات وانتقلت للحياة معه في بلده العائمة على بئر من النفط والذهب.

لم تكد تمر سنوات قليلة حتى مرض الحاج أبو العزم مرضًا شديدًا جعل الأبناء ينفقون ما تبقى من ثروتهم على مرضه ثم توفى.

بعد وفاة الحاج أبو العزم، اختل توازن البرنس هو وأخوه الأكبر وكيف لا وقد كان الأب هو السند، هو ضمانهم من شقاء الدنيا. هذا الأب الذي جعلهم حتى بلغوا هذه السن لا تعرف أيديهم من العمل في الدنيا سوى الترف وإنفاق الأموال على الملذات.

بدأوا يعرفون كيف يمر يومٌ عليهم بدون ترف طالما تعودوا عليه حتى جاء لهم الإنقاذ على يد أختهم ست الحسن زوجة الثري العربي، أخذت تمدهم بالأموال التي أضاعوها في مشاريع كثيرة فشلت، وبالرغم من ذلك لم تكف عن مدّ يد العون لهم. تزوج البرنس زواجًا غريبًا كان حديث الناس، فهو ابن الحسب تزوج ابنة أكبر تاجر مخدرات في المحافظة، الفتاة شديدة الجمال والأدب، ولكن هذا لا يكفي لمحو عار أبيها.

تزوجها البرنس وأنجب منها الكثير والكثير من الأبناء الذين ورثوا ملاحة الأب وجمال الأم، ولكنه بالرغم من أنه اصبح أبًا للعديد من الأبناء إلا أنه لم يكف عن حياته العابثة، وكلما طالت يده أي مبلغ من المال ركض نحو أحد علب الليل وأنفقه عن بكرة أبيه وعاد إلى بيته بعد الفجر مترنحًا.

والزوجة لم تجد ملاذًا لها ولأبنائها الكثر إلا بيت أبيها، فالبرنس يضن عليها وعلى أبنائه بالمال ويلقيه تحت أقدام الراقصات أو يسكبه مع زجاجات الخمر.

الأبناء كبروا بين أبٍ عابثٍ وجد تاريخه يسبقه أينما ذهب.

وفي أحد الأيام، جاء زوج ست الحسن إلى القاهرة، وقد قرر أن ينشئ مشروعًا استثماريًّا بها؛ لينتقل بزوجته للقاهرة، وكانت غنيمة جيدة للبرنس وأخيه؛ فستفتح شلالات الأموال عليهما..

وقد كان، أقنعوا زوج الأخت أن يترك الأمر لهما، فألقى لهما بعض الملايين وغادر على اتفاق بالعودة لمباشرة الأعمال والمال.

استأجر البرنس وأخوه مكتبًا فخمًا ضخمًا في أرقى أحياء القاهرة وكثير من الموظفين وخاصة السكرتيرات الحسناوات، ولأنهم غير معتادين على العمل، تحوّل المكتب مع الوقت إلى مكان مشبوه تتردد عليه الفتيات سيئات السمعة ومروّجو الخمور، وكان هذا المكان مرتعًا خصبًا للأفاقين ومن يريدون اغتنام بعض أموال البرنس الذي كان على أتم استعداد لدفع أي مال في مقابل بعض كلمات المدح الرخيص أو أمام ضحكة رقيعة من إحدى الفتيات.

مرت سنوات وكبر أبناء البرنس وذاقوا مرارة الاحتياج؛ فالأم عادت بهم لبيتها خوفًا عليهم من كار الجد وخوفًا من أن ينجرفوا فيه والأب يضن عليهم بأقل القليل من المال، حتى قرر أحد أبنائه الذهاب إليه في مكتبه بالشركة المزعومة ليطالب بحقوقه كابنٍ لأب ثري.

-انت ايه اللي جابك هنا من غير ما تتصل يا ولد يا خالد؟

-معلش يابابا كنت عاوز حاجة ضروري.

-حاجة إيه اللي تخليك تيجي هنا بالطريقة دي؟

-يابابا انا واخويا في ثانوية عامة ومحتاجين فلوس للدروس.

-ومبتذاكرش لوحدك ليه يا خويا، يلا اتفضل على البيت بلاش دلع مش قادر على التعليم سيبه.

- طيب بلاش انا، اخواتي البنات محتاجين مصاريف، مروة كبرت ومحتاجة لبس ومريم كمان عاوزة فلوس دروس.

-يووووووه غور من وشي ياحيوان، أكيد امك اللي باعتاك ماهي دي أخلاق بتوع المخدرات.

-ليه كده يابابا؟

-هو كده يلا بقى من غير مطرود ولا اقولك ماتيجي تشتغل هنا ساعي ياض يا خالد اهو تكسبلك قرشين وتريحني كل ما اجيب ساعي يطفش.

-عاوزني اشتغل ساعي في شركة ابويا؟!

-اه ياروح ابوك ولا عاوز تتنتح..

عاد خالد مكسور الخاطر للبيت وهناك وجد الأم باكية على حالها ولا تدري ماذا تفعل.. أتعود لبيت أبيها وتتركهم للضياع أم تتركهم لإهمال الأب؟!

هذا الحال دفع خالد للموافقة على عرض الأب على مضض قائلًا في نفسه: "على الأقل أحسن من مافيش".

وفي مكتب الأب كان خالد يري بأم عينه نفس الأب الذي يضن عليه بالقروش القليلة، ينفق آلاف الجنيهات على زجاجات الخمر والحياة المشبوهة.

نما الحقد في قلب خالد يومًا بعد يوم، حتى جاء الأب يوما وقال:

- بقولك ايه يا خالد انا عاوزك تيجي بكرة وتشوف حد يساعدك وتوضبوا المكتب كويس. عشان عندنا حفلة.

- حفلة ايه يابابا؟

-بلاش بابا دي هنا.

-حاضر ياباشا.

-أنا هتجوز دعاء السكرتيرة.

-انت يابابا؟!

-اه انا ..

- طب وانا واخواتي؟

-إنت هتحاكمني يا ابن الكلب!

خد الشنطة دي حطها جوة واقفل عليها انا هروح اجهز نفسي واشتري شوية حاجات.

- حاضر ياباشا.

نطقها خالد والغِل يقطر من فمه، وفور أن غادر الأب، فتح خالد الشنطة ليجد بها كمية هائلة من المال، فعزم على الهرب بها مهما تكلف

الأمر. حمل خالد شنطة أبيه المليئة بالنقود عازمًا على سرقتها انتقامًا من هذا الأب الجاحد. وعند باب الشركة فوجئ خالد بعمه قادمًا بصحبة إحدى الفتيات.

-رايح فين يا خالد؟

- أهلًا يا عمي أبدًا دا انا كنت رايح اجيب طلبات للحفلة.

- بتحضّر لفرح ابوك ياروح ابوك لا جدع ياض.

- أعمل ايه بس يا عمي هو حر.

- خد هنا ايه الشنطة ال معاك دي مش دي شنطة البرنس موديها فين؟

ارتبك خالد وظهر على وجهه علامات الرعب.

- انت سارق فلوس ابوك يا كلب؟

دفع خالد عمه فسقط على الدرج وركض نحو الباب بينما الفتاة المصاحبة لعمه تصرخ:

- حرامي حرامي..

عاد خالد للبيت وهو يرتعد من الخوف حتى شعرت الأم بالقلق.

- مالك ياخالد؟

- أنا سرقته ولو اتعرضلي هقتله كفاية بقي اللي حصلنا .

- يا مصيبتي، سرقت ابوك يا خالد هو ده ال كان ناقصني اعمل ايه دلوقتي، أبوك لو جه هنا هيطرق البيت ويفرج علينا الناس.

- متخافيش يا ماما انا ههرب عند جدي وهاخد حسن اخويا معايا عشان ميلاقيش غيرك انتي ومروة وريم ومش هيعرف يعملكم حاجة

- طيب يا ابني ما ترجعهملة وتقصر الشر.

- ارجعهملة عشان يتجوز بيهم عليكي وينسانا أكتر ما هو ناسينا.

ضاق صدر الأم وقالت محدثة نفسها: "كده يابرنس بعد ما استحملت وساختك السنين دي كلها وربيتلك عيالك "

ثم توجهت لخالد: اهرب يا خالد وانا ليا كلام معاه لما يجي وخد معاك الفلوس دي اديهم لجدك يخليهم عنده.

انطلق خالد لبيت جده بصحبة أخيه الأصغر.

وفي الشركة جنَّ جنون البرنس عندما علم بسرقة أمواله ومَن السارق؟ إنه ابنه.

- العيال دي ولاد حرام يا عادل، أنا ابني يسرقني، أنا البرنس تجيلي من ابني الضربة دي!

- يابرنس متكبرش الموضوع ده عيل وغلط روّق دمك كده وشوف هنسهر فين النهاردة.

عاد البرنس للسهر وعلب الليل ونسي خالد الذي اختفى عند جده لأمه.

وبمرور الوقت نفدت جميع الأموال التي حصل عليها من زوج الأخت، ولم يجرؤ على طلب المزيد، فأخذ يفكر في طريقة للحصول على المال، فأخذ يتناقش مع أخيه في طريقة سهلة للحصول على المال.

-هنعمل ايه يا عادل الفلوس خلصت والحريم طفشت انا مخنوق اجدع.

-لها حل يابرنس، إحنا بدل ما بناخد الترامادول وبس، نبيعه كمان في كونتيتر قدامي.

- جري ايه يا عادل انت اتجننت انت عاوز تحبسنا، أنا البرنس اتحبس لالالا انت متفكرش.

- أعملك ايه ده حتى مافيش سكرتيرة تجيلنا كوباية مية.

- بس لقيتها احنا نعمل إعلان عن وظايف خالية.

- انت مخك ضرب يابرنس وظايف إيه الشركة بتخرب.

- ياحمار افهم احنا في مكتب محترم وشركة فخمة لما نعمل إعلان وظايف ونبيع الاستمارة ب 50 جنيه هيجيلنا آلاقات الشباب.

- أما فكرة نضيفة صحيح بس بشرط مناخدش فلوس من الموزز نعملهم اختبارات بس.

ضحك البرنس قائلًا:

- طبعًا ياعادل، ما كل التعب ده عشان الموزز.

ظلّ خالد مختبئًا في بيت جده لأمه ويرسل لها من المال الذي سرقه من الأب حتى نفد، وعندها وجد الجد يقترح عليه العمل معه في كاره.

- ماتيجي يا خالد تشتغل معايا انت كبرت وبقيت راجل وانت أولى من الغرب.

- بس يعني يا جدي مخدرات انا اخاف.

- مالها المخدرات، إيشحال لو مكنتش حرامي وسارق ابوك ياواد انت هتعمل شريف عليا.

- حاضر ياجدي أمرك.

- أيوة كده تبقى حفيدي حبيبي، بس انا قلقان على حسن اخوك بيختفي كده ومش عارف بيروح فين.

ضحك خالد قائلًا:

- هو اللي بيهرب من بيت تاجر مخدرات بيتخاف عليه يا جدي متقلقش.

وسار خالد في طريق الجد رغمًا عنه، أما حسن الأخ الأصغر فكان له نشاط آخر.

وفي الشركة كما توقع البرنس، انهالت عليهم الأموال من الشباب الباحث عن عمل في هذه الشركة التي يوحي مظهرها الفخم بأنها شركة عالمية ولا أحد يعرف حقيقة نشاطها.

أنفق البرنس جميع النقود على ملذّاته، وعندما نفدت فكر في فكرة شيطانية لا تخطر على بال أب يحمل ذَرّة من إنسانية.

فقد توجه لأحد أصدقائه العرب الذين تعرّف عليهم أثناء سهراته الحمراء في علب الليل، وعرض عليه الزواج من ابنته مروة اللتي ورثت جمال أمها وملاحة أبيها، ليعيد نفس قصة أخته ست الحسن ويعيش من أموال زوج ابنته.

وذهب للبيت حيث تعيش مروة مع أمها ودفعها دفعًا أمام هذا العجوز الثري الذي كتب لها شيكًا دسمًا بجانب عقد زواج محدد المدة فيما يعرف بزواج المتعة.

أخذ البرنس المال وعاد للشركة منتشيًا واشترى زجاجة من الخمر الفاخر ليحتفل بشلال النقود الجديد مع أخيه الأكبر، وأثناء السهرة أصيب أخوه بجلطة مفاجئة أودت بحياته.

المفاجأة هزت كيان البرنس، فقد كان يظن أنه هو وأخوه بعيدان عن الموت، ولكن هاهو الموت يخطف الأخ رفيق الحياة العابثة.

بعد وفاة عادل اكتأب البرنس وصار يرتعد خوفًا من أن يخطفه الموت كما خطف أخاه فعاد للبيت.

وهناك وجد أن البيت لم يعد كما كان: فعندما سأل عن حسن علم أنه في السجن بتهمة سرقة بالإكراه.

نعم حسن الابن الصغير المدلل صار لصًا ومسجل خطر أما خالد فصار تاجر للأقراص المخدّرة وصارت سمعته تسبقه.

ظنَّ الجميع أن كل هذه المفاجآت ستعيده إلى رشده إن لم تكن كفيلة بالقضاء عليه، ولكن حدث موقف أكّد لي أنه سيموت على نفس الحال .

حيث أنه بعد مرور أربعين يومًا على وفاة أخيه، ذهبت لتعزيته بصحبة إحدى صديقاتي نظرًا لكل المصائب التي مرَّ بها، فإذا به ينظر لها نظرات إعجاب قائلًا:

- تعرفي انك حلوة أوي في الأسود يا سمر، تحبي تشتغلي سكرتيرة في مكتبي؟

البرنس هو البرنس، لا شيء يمكن أن يصنع منه إنسانًا.

القصة حقيقية، وبعض أحداثها نشرتها الصحف والابن الأصغر لازال في السجن.

* * *

(20)

سيف

شاب من عائلة متوسطة في حي شعبي هو الأخ الاصغر لأربعة من الإخوة جميعهم يحسب لهم التدين والخلق الطيب، إلا سيف فهو نشأ مدللًا لكونه الابن الأصغر، ولوسامته الشديدة وخفة ظله التي لا تقاوم.

تسبب هذا التدليل في فشله دراسيًا؛ حيث لم يستطع أن يكمل دراسته الجامعية واكتفى بمعهد فني متوسط .

ولأنه هو الوحيد الفاشل دراسيًا ولا يوجد عمل يصلح لشخص مدلل كهذا، اختار الطريق الأسهل: محل قديم كان والده يتخذه مخزنًا ومكانًا لجلوسه مع أصدقائه.

جدَّد سيف المحل ببعض الديكورات البسيطة واختار نشاطًا مربحًا ورائجًا هذه الأيام؛

ملابس المحجبات .

ونظرًا لجاذبيته الشديدة ووسامته. أصبح المحل لايخلو من الفتيات والسيدات ممن يريدون التحدث معه بحجة شراء مستلزماتهن من محله.

وكان هي إحدى زبائنه نهي صديقة الطفولة لطالما كانت صديقة طيبة له كلما حدث له مكروه. ركض نحوها وهي تقدّم له العون بكل حُبّ وكأنما هو ابنها.

وعندما رآها في المحل بعد فترة طويلة أدرك أنه لابد أن يضمن وجودها بجانبه أطول فترة ممكنة .

- نهى انتي واحشاني جدا كنتي مختفية فين اديني رقمك واوعي تغيبي كده تاني.

لم تصدق نهى نفسها من السعادة، هذا سيف الذي طالما تجاهل مشاعري ولم يقدّر أبدًا حبي له ولم يفهم حقيقة إحساسي، يهتم بي كل هذا الاهتمام؟.

ولكنها كانت مخدوعة: فهذا الأناني لم يهتم بها حُبًا، ولكنه يريد أن يضمن مساعدتها الدائمة له وقد كان..

وكثيرًا ما أيقظها على صوته في الهاتف

-نهى معلش عاوز ألفين جنيه سلف..

-نهى الحقيني عندي مشكلة في المحل.

-نهى تعالي بسرعة محتجالك.

كانت نهى تظن هذا حُبًا ولم لا؟ إنه لا يقصد أحدًا غيري، إنه يحبني، إنه لايستطيع الحياة بدوني. ولأنه يريد أن يضمن وجودها بجانبه، أقنعها أنه لابد لهم من الزواج، وعندما قال لها هذا كادت تفقد عقلها من الفرح، هاهو الحلم يتحقق، ولكنه جعلها تفيق على صفعة قوية:

-نهى احنا لازم نتجوز بس مش هينفع افاتح أهلي دلوقتي عشان المشاكل اللي بينا وممكن ياخدو مني المحل لو خالفتهم.

-طيب وهنعمل ايه ياسيف؟

-نتجوز عرفي مؤقتًا بس ياحبيبتي لحد ما نأجر محل في مكان تاني.

-بس يعني...

-اللي بتحب متقولش لحبيبها بس يعني.

-خلاص خلاص موافقة بس مترعلش.

وافقت نهى على هذا الوضع المزري لحبها الشديد له ولعدم وجود ما تخشاه فقد توفى والديها وهي تعيش في بيت عمتها التي تتوق للتخلص منها وهي تربح جيدًا من عملها ما يكفيها ويكفي مطالب سيف التي لا تنتهي .

هو في الحقيقة يسدد ما يأخذه، ولكن على مدى طويل جدًا.

وفي أحد الأيام، ذهبت نهي لمحل سيف، فوجدته مغلقًا ولا يوجد بالبيت ولا يرد على الهاتف. جنَّ جنونها حتى تجرأت وذهبت لبيت والدته لتسأل عنه فأجابت الوالدة.

- ده راح مشوار يا بنتي عشان بيحضر للسفر.

-سفر !!!

-كنتي عاوزة حاجة يابنتي؟

-لا أبدًا يا طنط كنت طالبة حاجات من المحل.

دارت الأرض بنى وجن جنونها.. سيتركني هكذا بدون حتى وداع؟ ألهذا الحد أنا لاشيء بالنسبة له؟ ماذا فعلت ليعذبني؟!

وأخيرًا ظهر سيف عندما رأت اسمه على الهاتف لم تصدق:

-الو انت فين حرام عليك تعمل فيا كده؟

- أنا هنا ياحبيبتي لما نتقابل هتفهمي كل حاجة.

وعندما قابلها سألته دامعة العينين:

-ليه عايز تسيبني بالطريقة المهينة دي؟

-حد يسيب روحه انتي روحي يانبى.

-كداب..

- كل الموضوع اني مش قادر استحمل حياتنا كده، انتي لازم تبقي مراتي قدام الناس كلها، لازم يبقى ليكي فرح وبيت أحسن من أي حد.

- بجد ياسيف هتعلن جوازنا طيب الحق اجهز نفسي.

ضحك سيف وأجابها:

-خدي وقتك، أنا مش هعمل كده غير لما اسافر وارجع عشان يبقى معايا قرشين نبدأ بيهم حياتنا.

-طيب على الأقل تعالى اخطبني من عمتي.

-مينفعش يا حبيبتي حد برضه يخطب مراته؟

-بس هما ميعرفوش.

-اصبري بس يا نبى، سيبني اعمل حاجة تليق بيكي يا حب عمري.

- طيب هترجع إمتى؟

- مش هغيب أكتر من سنة.

غالبت دموعها قائلة:

-سنة مش هقدر استحمل.

- متصعبيهاش عليا بقي يا حبيبتي.

وتركها سيف بين نار الشوق إليه وشعور بالخزي مما ارتكبته في الخفاء.

ومرت سنة. وللحقيقة أنه لم يتركها يوم بدون مكالمة تليفونية أو محادثة على فيس بوك، وهذا ماجعلها تنتظر وتنتظر حتى أصبحت السنة ثلاث سنوات، وكانت تغالب حنينها إليه بالعبور بجوار بيته الذي طالما جمعهما في الخفاء عليها تشم عبيره. وفي مرة من مرات مرورها بجوار بيته، شاهدت أعمال دهانات وتجديد للبيت، وعندما سألت أخته أجابتها أن سيف قادم بصحبة نبى وطلب تجديد البيت من أجلهما.

فرحت نبى ولم تلتفت لما بين السطور في حديث أخته؛ فقد ظنت أنها هي نبى المقصودة.. نعم إن حبيبي سيف وفى بوعده ولم يخيب ظني فيه لكن

لماذا لم يخبرني لابد أنه يريد أن يفاجئني، سأفاجئه أنا أيضًا وأعرف موعد وصوله وأنتظره في المطار.

وجاء اليوم المشهود، تزينت بثياب الشوق وتعطرت بعطر اللهفة إليه، وعرفت موعد الطائرة، وجلست تنتظر.. وإذا به قادم من بعيد.. ماهذا؟ إنه لالالا إنه ليس هو، لا إن عيني لا تخطئ سيقًا، ولكن ماهذا الذي في يده عربة أطفال لابد أنها هدية لأحد، ومن هذه التي تتأبط زراعه؟ إن العربة بها طفل.. يالله إن قدميَّ لا تحملانني.. وما ان رآها حتى ابتسم.. عجبًا لقد جاء ليسلم عليها:

-ازيك يا نهى انتي مستنية حد ولا إيه؟

- هه..

- أه نسيت اعرّفك، غادة مراتي، ودي بنتي نهى سميتها نهى على اسم أعز حد على قلبي.

خرجت نهى من المطار وقد غامت الدنيا في وجهها ومادت الأرض تحت قدميها.

وبمرور الوقت حاولت أن تتماسك وتتناسى هذا الجرح الغائر. وما إن بدأت تعود للحياة مرة أخرى حتى فوجئت بهاتفها يدق لم تصدق عينيها عندما رأت اسمه على شاشة الهاتف. ضغطت على الزر بأصابع مرتعشة وأجابت:

- ألو..

- وحشتيني.

- إنت ليك عين تطلبني بعد كل اللي عملته انت إيه!

- أنا في ورطة ومالیش حد غيرك، أرجوكي انقذيني.

انهارت قواها أمام صوته المتوسل، وارتدت ملابسها على عجل لتقفز في أول سيارة توصلها إليه في العنوان الذي أعطاها إياه في الهاتف.

وعندما دخلت وجدته شاحب الوجه مرتعدًا فسألته :

- في ايه ياسيف مالك انت كويس بنتك حصلها حاجة؟

- لا بس !!!! ...

- بس ايه اتكلم.

ولم يفتح فمه ليجيبها حتى سمعت تأوهات قادمة من الداخل، فتركته وركضت مسرعة نحو مصدر الصوت لتجد شابة ملقاة على سرير الغرفة، باردة الجسد وحولها آثار نزيف شديد

فنظرت له متسائلة:

- إيه ده مين دي وحصلها إيه؟

- دي دي..

- اتكلم ارجوك .

- دي هبة مراتي.

- بس مش دي اللي شفتها معاك في المطار.

- دي هبة مراتي التانية اتجوزتها في السر من ورا غادة.

- نعم ؟؟

- مش وقته دلوقتي هبة كانت حامل وانا أجبرتها تعمل إجهاض عشان جوازنا في السر ولازم يفضل في السر.

- وايه اللي غاصبك؟

- أصلها بصراحة بنت مسؤل كبير وانا محتاج نفوذ ابوها عشان شغلي.

- انت ايه مش ممكن يكون في حد أحقر من كده..

- يعني مش هتساعديني؟

- هنزل اجيب دكتور .

- وعندما داست أقدامها أرض الشارع، أمسكت هاتفها وطلبت رقمًا، وما إن جاءها الرد حتى قالت: ألو بوليس النجدة، من فضلك عايزة ابلغ عن جريمة شروع في قتل.

وأشعلت سيجارتها، وانتظرت قدوم البوليس للرجل الذي كادت أن تفديه بحياتها منذ لحظات.

* * *

(21)

بيرنا

دُعيت في إجازة عيد الفطر لقضاء بعض الوقت في إحدى قرى الساحل الشمالي، تلك الأماكن التي أعتبرها أنا تخيل مصغَّرًا لما يرجوه الإنسان في الجنة: حيث الهواء الرائق والبحر فيروزي الصفاء، والسماء تخلو من السُحُب والأرض المنبسطة والأشجار الظليلة مكان اجتمع فيه كل ما يبهج النفس.

ولكن، لأن نفسي لا تميل للبهجة بطبعها، فلم يلفت نظري من وسط كل هذا النعيم إلا هي (بيرنا)، فتاة فلبينية جائت للعمل كخادمة في الجنة.

أول ما رأيتها، كنت أسير على الممشى المؤدي للبحر قرب منتصف الليل، نعم فهناك لا فرق بين الليل والنهار بفضل الأمن المتوافر بكثرة.

رأيتها تجلس على حافة قائم حجري ممسكة بعلبة طعام لطفل عنيد يأبى الطعام وهي تتحدث من بين دموع غزيرة بلغة لا هي عربية سليمة ولا هي إنجليزية ركيكة.

ترجو الطفل أن ينهي طعامه لأنها إن عادت بعلبة الطعام سيكون عقاب السيدة قاسيًا وهي لا تتحمله، والطفل لا يهي ما تقول، هو فقط يريد اللعب، وما إن ضجر من محاولاتها فرَّ هاربا ليلعب مع أقرانه، بينما انهارت هي في بكاء شديد.

ومن نواحها فهمت منها ستعتقب مجددًا من سيدتها لأن الطفل لم ينهِ وجبته. فاقتربت منها لعلّي أستطيع أن أخفف عنها قليلًا.

وما إن اقتربت حتى بدا عليها الإنزعاج والخوف في آنٍ واحدٍ، وصاحت على الفور"

-مدام انا مش اضرب بيبي مدام هو مش أوز ياكل، هو مش جعان بليز مش تقول لمدام هنا.

فأجبتها لأطمئنها: أنا معرفش مدام هنا ومش مهم البيبي ياكل.

فتغيرت ملامحها قائلة: انت مش إعرف مدام هنا؟

-لا معرفهاش بس لو تحبي اكلمها أوكي.

-لالالالا أرجوك مدام أنا مش أوز اقطع عيش إنا .

-طيب متخافيش انتي بتعيطلي ليه؟

-كل يوم مدام أؤمر انا لازم ببي يخلص أكل، بيبي إلعب كتير ومش اقدر خلّص أكل عشان أكل كتير، مدام شوف أكل مش خلص عاقب بيرنا مية سخنة على إيدين أنا.

-نعم !!! مية سخنة يعني إيه؟

فكشفت المسكينة عن ذراعين شديدي الالتهاب وبهما أماكن بها حروق من الدرجة الثانية والثالثة.

- مدام إحرق بيرنا عشان مهمل.

-انتي لازم تبلغي البوليس مافيش حاجة اسمها كده.

-لا مدام بليز أنا محتاج شغل انا مش عاوز روحي سجن.

-سجن ايه انتي ليكي حق وممكن تسيبي الشغل عندها وتروحي مكان تاني.

وبعد حوار طويل، علمت منها أن "مدام هنا" أفضل من عملت معهم، حيث كانت تعمل في دبي في السابق، وكانت تتعرض للتعذيب والاغتصاب والتجويع وهربت بأعجوبة، وأنها تحتاج للعمل من أجل إطعام وتعليم صغارها الذين ينتظرون المال في الفلبين ليكملوا حياتهم هناك، بينما هي تدفع من إنسانيتها وأدميتها يومًا بعد يوم.

وعلمت أيضا أنها تتحمل التعذيب لدى مخدومتها لأن الأجر مرتفع وهي تحتاج المال، وطبيعة عملها هو خدمة طفل مدلل مشاكس، إذا بكى لأي سبب تُعَاقَب هي، وإذا رفض الطعام تعاقب، وإذا تعثَّر أو كسر شيئًا تُعَاقَب.. تخيل أن هذا العمل بالضبط كمن يطلب منك تجميع الهواء في زجاجة مكسورة وبحاسبك على الفاقد.

بيرنا تعمل في هذا النوع من العمل منذ أكثر من عشر سنوات، ذاقت خلالها مالم يذقه سجينو جوانتانامو، والغريب أنها أصبحت تخاف جدا ممن يصلّون، وعندما سألتها لماذا أجابت أنها كانت تعمل بالسعودية

لدى سيدة كثيرة الصلاة، وما إن تنهي صلاتها حتى تلطمها على وجهها وتشد شعرها وتجرها على الأرض .

وفي نهاية الحديث سألتني سؤالاً عجيبًا:

-مدام انت مسلم ؟

- أيوة أنا مسلمة .

-هو إسلام قال لازم إضرب بيرنا.

-اجبتها في مرارة غص بها حلقي: لا يا بيرنا، الإسلام جميل بس في ناس وحشين ربنا أعدل وأرحم من انه يخلي إنسان يعذب إنسان.

ابتسمت إبتسامة فهمت منها أنها غير مقتنعة أو مصدقة لكلامي، وعندما قلت لها أن قبوتها على حسابي، أعادت عليَّ السؤال:

-مدام انت مسلم !!!!!!

حقًّا لقد ظلمنا الإسلام معنا كثيرًا وأتمنى أن يسامحنا الله.

كل حرف حقيقي ..

بيرنا لسة موجودة هناك وبتتعاقب كل يوم ..

* * *

(22)

بحبها وهتجوز اختها

عندما أشعر بالضيق من أمرٍ ما أو يعيني التفكير في أمرٍ ما، أرتدي ملابسي وأتوجه لشوارع القاهرة، حيث ينسيني الزحام والطرقات ما يتعب ذهني.

وفي هذا اليوم وأثناء سيري بأحد شوارع منتصف المدينة، مرت أمام عيني جملة عجيبة نهبت حواسي كلها ولم أستطع أن أتركها تمر هكذا، هاك الجملة لتتعجب مثلي.

"بحبها وهاتجوز اختها" كانت مكتوبة على إحدى سيارات التاكسي، إنها تختلف عن كل ما كُتِبَ وسيُكتَب على سيارات المصريين.

فقلت لنفسي: وما الداعي للحيرة طالما أستطيع أن أسأل.

جددت في السير لألحق بالسيارة، وما إن صرت بمحاذاتها حتى هتفت: "تاكسي"

توقف السائق ليسألني عن وجهتي، وبدوري اخترت أبعد مكان ممكن حتى أتمكن من سماع قصة الجملة الغريبة: مدينة نصر ياسطى.

- إتفضلي يا أبلة.

السائق شاب مصري صميم، أسمر البشرة، نحيل الجسم، يرتدي نظارة شمس بالرغم من غياب الشمس من ساعتين، يستمع إلى بعض الأغنيات الكئيبة التي تتناسب مع وجهه المكفهر.

أردت أن أدخل في صلب الموضوع فورًا فرأسي يطحنها الفضول:

أنا: إحم عربيتك دي ياسطى ولا شغال عليها؟

السواق- لا عربيتي دي شقا 5 سنين في السعودية .

- خمس سنين يا!!!!!!اه ربنا يعينك ياسطى بس هو ممكن سؤال؟

- اتفضلي.

- انت ال كاتب بحبها وهتجوز اختها ولا دي حركة يعني؟

- لا انا اللي كاتبها - صوته هنا قرب ع العياط-

- طب وهل حصل ذلك جدًا فعلًا -بحاول الطّف الجو عشان افهم-

- شوفي يا أبلة انتي شكلك بنت بلد وانا استريحتلك دي قصة طويلة.

- إحكي ياسطي الطريق طويل والدنيا زحمة زي مانت شايف.

- شوفي يا ستي، البنت اللي عليها القصد حاجة كده زي الفاكهة الصابحة، أنا كنت حاطط عيني عليها من وهي لسة بنت 14 سنة بس بقي كان ساعتها العين بصيرة والإيد قصيرة وابوها راجل مقتدر عنده بيتين ملك وبيبني عمارة وانا مش في إيدي حاجة قُلت لنفسي ياض هتقعد تحبها في صمت لحد ما يجي ال يخطفها منك لازم اعمل حاجة.

- وعملت إيه؟

- قررت اسافر لسعودية اعمل قرشين عشان اعرف اخطبها وانا إيدي مليانة، قلت هشتغل سنة وابعت اشبكها وربنا يكرم.

- حلو أوي.

- لا مش حلو عشان انا قبل ما اسافر وريتها لأخويا الأصغر مني وقولتله الموزّة أمانة في رقبتك حافظ عليها، ولو حسيت ان في حد هيتقدملها ولّا حاجة ابعتلي وسافرت وانا مش واخد خوانة. بعد سنة بعت لأخويا فلوس وقولتله ياخد الحاجّة ويروح يخطبهالي عشان معنديش أجازات راح ابن الحرام خطبلي اختها الكبيرة وخطبها هي لنفسه.

وانا هناك متغفل ومش فاهم حاجة وامي بعتت تقولي خطبنالك بنت متولي كنت هتجنّن من الفرحة .

- وبعدين ياسطى كمّل.

- أبدًا ياستي، قعدت اشتغل كمان سنة عشان الجهاز والعفش وكده وموتت نفسي في الشغل عشان ابقى أدها، والله يا ابلة كنت بقعد بالأسبوع عايش على كيس شيبسي عائلي وقطعتين خبز، أه مانا لازم احوّش كل قرش لحد ما ابوها قال الخطوبة كده طولت اعمل حسابك تنزل عشان كتب الكتاب .

- طيب وطول الفترة دي معقول يعني مكلمتهاش في التليفون ولا عرفت اللخبطة دي.

- والله يا أبلة اخويا الله يسامحه خلاها كلمتي في التليفون ع اساس تسلم عليا وانتي عارفة المكالمات الدولي بتبقى قصيرة وغالية. سمعت صوتها وكنت طاير يادوب ازيك وعاملة ايه وبس.

- ها كمل طيب حصل إيه لما نزلت عشان كتب الكتاب؟

- أنا نزلت يوم تلات عشان كتب الكتاب الخميس يوم الأربع، رحت سلمت على ابوها في السريع كده ومضيت ع قايمة اللي بتتمضي قبل كتب لكتاب.

- وتاني يوم رايح بقى وخلاص هحقق حلمي ألاقي إسم اختها هو اللي بيتقال معرفتش انطق لأن اخويا كان خلاص كتب عليها قبلي واتدبست وخلاص. وانا لا طايق اخويا ولا اختها ولا العيشة واللي عايشينها.

- طيب لو سمحت ياسطى رجعني شبرا.

- ليه يا أبلة مش رايحة مدينة نصر؟

- لا بس كنت عاوزة اعرف حكايتها هي واختها.

وعندما نزلت من السيارة سألت نفسي: لماذا نتعجب من غرابة القصص في الكتب، فلابد أنها مستوحاة من واقع أغرب.

* * *

الفهرس

إهداء..... 5

مقدمة..... 7

جميلة..... 9

سواق توكتوك في نابولي..... 13

بيكاديلي الإسكندراني..... 17

سائق مصري..... 19

هي وألا امها..... 23

جاري الحزين..... 27

صاحبة الوشم الخليع..... 31

عائلة مختار سبرتو..... 35

سلوى..... 39

الله يحرقك يا سعيد..... 43

حيرة..... 47

حب..... 49

جحود.....53
سكر.....57
صانع اليخوت.....59
عطر.....63
وجع.....67
معدية.....75
البرنس.....79
سيف.....91
بيرنا.....99
بحبها وهتجوز اختها.....103

ناس محطوط عليها

ساعات نشوف حكايات في السينما نقول مبالغة
بس الحقيقة بتكون أكبر من إننا نتخيلها كل
واحد فينا جواه قصة عايشها ممكن تبان لناس
عادية وناس تانيين يشوفوها عجيبة اللي بيفرق
هنا احساسنا بكل حكاية.. جايز متصدقش
الحكايات اللي في الكتاب ده وممكن تلاقي
حكايتك او حكاية حد قريب منك فيها
بس الأكيد انها ... حكايات حقيقية
هكذا تكلم المحطوط عليهم .

Design : Mohamed Mohsen